
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

رؤية المؤرخ البيزنطى ليو الشماس لحملة الإمبراطور نقفــور الثانى فوقــاس على جزيرة صقلية عامى٣٥٣-٣٥٤هـ/٩٦٤- ٩٦٥م

أ.د. آمال حامد زيان

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تناولت بعض الدراسات البيزنطية الحديث عن عصر الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس (٩٦٣-٩٦٩م/ ٣٥٢-٣٥٩هـ)، وفى أثناء ذلك تمت الإشارة إلى حملته على صقلية، عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م، لكن لم تتحدث هذه الدراسات عن رؤية المؤرخ البيزنطى "ليو الشماس Leo the Deacon" لهذه الحملة، خاصة وأن هذا المؤرخ هو المؤرخ البيزنطى الوحيد المعاصر لنقفور فوقاس (٩٥٠-٩٩٤م)، وكان قريبا من أحداث القصر، حيث كان يعمل كأحد الموظفين الكنسيين داخل البلاط، وبذلك أتيحت له فرصة التعرف على دقائق الأمور داخل الدولة البيزنطية.

وبطبيعة الحال فإن المؤرخ اليونانى "ليو الشماس" يمثل وجهة النظر البيزنطية فى العلاقة بين البيزنطيين وبين المسلمين، بصفة عامة، ومسلمى صقلية وشمال إفريقيا بصفة خاصة، فى وقت وصُفت حروب، نقفور الثانى فوقاس، ضد المسلمين بأنها حروب دينية، وجعلها البعض مقدمة للحروب الصليبية، فماذا كان رأى المؤرخ ليو الشماس ؟

الواقع إن ليو الشماس Leo the Deacon ينفرد، من بين المؤرخين البيزنطيين، بتفصيل أحداث المعارك والحروب البرية والبحرية؛ التى نشبت بين المسلمين والبيزنطيين، فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى.[١]

وتعتبر كتابات ليو الشماس وثيقة تاريخية هامة لتلك الأحداث، فقد كان معاصراً وشاهد عيان علــى وقــائع النــصف الثــانى مــن القــرن الرابــع الهجـرى/ العاشــر المــيلادى، حيــث ولــد عــام ٩٣٩هـ/٩٥٠م فى مدينة "كالوى Kaloe" إحدى مدن مقاطعة "تمولوس Tmolos" بآسيا الصغرى، وتلقى تعليمه بمدينة القسطنطينية، ثم انخرط فى سلك التعليم الدينى حيث تقدم فيه، الأمر الذى أهله لأن يصبح أحد شمامسة القصر الإمبراطورى[٢]، ثم التصق بالإمبراطور "باسيل الثانى Basill

(١)Leo the Deacon: The history of Leo the Deacon, translated to English by: Alice-Mary Talbot, Washington, 2005, pp.55-221.

(٢)Alexander Kazddan: The Oxford dictionary of Byzantium, Oxford 1991, vol.3, p.11478.

II" بعد انفراد الأخير بالحكم عام ٣٦٥هـ/٩٧٦م، لدرجة أنه صحبه في حملته على بلاد البلغار، عام ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م(٣).

ولاشك في أن قرب ليو الشماس من دوائر الحكم، بالقصر الإمبراطوري، ساعده كثيراً في الوقوف على الكثير من المعلومات التي ضمنها كتابه "The History"، والذي يتحدث فيه عن الفترة الواقعة بين سنتي ٩٥٩-٩٧٦م، وصولاً إلى الحديث عن البدايات الأولى لحكم الإمبراطور باسيل الثاني (٤)، ولذلك جاءت كتابات ليو الشماس صورة حية لأحداث هذه الفترة، وهي في نفس الوقت تعبيراً عن وجهة النظر البيزنطية لهذه الأحداث.

وقد اهتم ليو الشماس بفترة حكم الإمبراطور، نقفور الثاني فوقاس، اهتماما كبيراً، وقام بوصفه وصفا دقيقا(٥)، وتحدث عن فترة حكمه بإسهاب تلك الفترة التي شهدت كثيراً من المعارك التي دار

---

(٣)John Skylitzes: A synopsis of Byzantine history 811-1057, translated to English by: John Wortaly, Cambridge, 2010, p.314

انظر أيضاً: وسام عبد العزيز فرج: **الإمبراطور باسيل الثاني (سفاح البلغار) ٩٧٦-١٠٢٥م**، مقال منشور في ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، مجلد ١، القاهرة ١٩٨٢، ص ١٨٠؛ دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٥٨.

- باسيل الثاني : هو ابن الإمبراطور رومانوس الثاني Romanus II، ولد عام٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، ولذلك عند وفاة والده عام ٩٦٣م/، لم يكن في سن تسمح له بتولي عرش الإمبراطورية البيزنطية، فتولت والدته "ثيوفانو Theophano" الوصاية عليه وعلى أخيه الأصغر قسطنطين الثامن Contantine VIII، ولم تلبث أن تزوجت نقفور الثاني فوقاس Nicephore Phocas (عام ٣٥٢هـ/٩٦٣م)، الذي تولى حكم الدولة البيزنطية وتعهد بالمحافظة على حقوق أبناء رومانوس الثاني، وبعد مقتله تزوجت بحنا تزمسكس John Tsmicsces عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وتولى أيضا حكم الدولة البيزنطية مع تعهده بالمحافظة على حقوق أبناء رومانوس الثاني، وبعد وفاة الأخير عام ٣٦٦هـ/٩٧٦م تولى باسيل الثاني حكم الإمبراطورية البيزنطية، واستمر في الحكم حتى وفاته عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م. انظر:

=

= Charalambos: "Basil II et l'Aristocratic Byzantine", in Byzantion, Tom LXIV, Bruxelles 1944, pp.118-128, Jenkins: Byzantium the impereal centuries A.D. 616-1071, London 1966, pp.335-339.

(٤)Leo the Deacon: the History, pp.55-221, See also: Kazddan: The Oxford Dictionay, vol.3, p.1478.

(٥) وقد جاء وصف ليو الشماس للإمبراطور نقفور الثاني فوقاس على النحو التالي : "تميل لون بشرته

رحاها بين المسلمين والبيزنطيين، سواء في آسيا الصغرى وشمال بلاد الشام، أم في البحر المتوسط في كريت وصقلية(٦).

أما "نقفور الثانى فوقاس" فهو سليل أسرة فوقاس العريقة النسب؛ التى تعود أصولها إلى آسيا الصغرى(٧)، وهى أسرة تنتمي إلى الارستقراطية العسكرية، التى أخذت فى الظهور فى الدولة البيزنطية، منذ القرن التاسع الميلادى/ الثالث الهجرى(٨). تولى جَدُّهُ نقفور الكبير" قيادة جيوش الدولة البيزنطية زمن كلٍّ من الإمبراطور باسيل الأول Basill I (٨٦٧-٨٨٦م) والإمبراطور ليو السادس Leo VI (٨٧٠-٨٨٦م)، أما والده "برداس فوقاس" Bardas Phocas، فقد كان القائد العام (دمستق Domostic) لجيش الإمبراطورية، بعد وفاة الإمبراطور ليو السادس عام ٩١٢م، فى حين تولى عمه "ليو فوقاس" Leo Phocas قيادة جيوش الإمبراطورية البيزنطية أثناء وصاية الإمبراطورة زوى Zeo على عرش الإمبراطورية، بين عامى ٩١٣-٩١٩م(٩).

إلى اللون الأسمر الداكن أكثر من ميلها إلى اللون الأشقر، ذو شعر كثيف آسود اللون، ذو عينان سوداوان، أما حاجباه فأقل كثافة من شعر رأسه، أنفه ليس بالنحيل ولا بالواسع العريض ينتهى بشكل معقوف قليلاً، ذو لحية متوسطة الحجم، تتناثر على وجنتيه بعض الشعيرات الرمادية اللون، أما قوامه فهو قوام فتى قوى، ذو صدر عريض واسع الكتفين والمنكبين. انظر: The history, p.98

(٦) Leo the Deacon; The history, pp.87-142, See also: Schlumberger: Un Empereur Byzantine au dixieme siecle, Nicephore Phocas, Paris 1890, pp.390-398.

السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢، ص ص ٤٦١-٥١٦،

John H.pryor: The age of the A pomon, the Byzantine navy 500-1204, Leiden 2006, p.72.

(٧) Ostrogorsky: History of the Byzantine State, translated to English by: John Hussey, USA 1957, p.253.

(٨) Cavalla: The Byzantines, London 1942, p.32,

آمال حامد زيان: الدور السياسى للمؤرخ ميخائيل بسللوس بالدولة البيزنطية (١٠٤١-١٠٧٨م) القاهرة ٢٠١٢، ص ٥٩؛ وسام عبد العزيز فرج: دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٨٢، ص ٢٦٩-٢٧١.

(٩) Ostrogorsky: The History of the Byzantine State, pp.332-334;

- دمستق Domostic لقب استخدم فى الدولة البيزنطية حمله القائد العام للجيش، وورد ذكره فى المصادر الإسلامية بنفس المعنى. انظر :

ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، نشر دار صادر، بيروت ١٩٦٦م، ج٨، ص ٥٥٥،

ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سهيل ذكار، دمشق ١٩٩٧، ج١، ص ١٣٥،

وعلى هذا النحو لم يكن طريق قيادة الجيوش بعيدا عن نقفور (الثانى) فوقاس، فقد خَلَفَ والده برداس فوقاس فى القيادة العامة أى (دمستق) لجيش الإمبراطورية فى الشرق، زمن الإمبراطور رومانوس الثانى (٩٥٩-٩٦٣م)، وبذل جهداً كبيراً فى محاربة المسلمين فى شمال بلاد الشام وأطراف آسيا الصغرى(١٠). ولذلك بعد أن تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية (فى ١٦ أغسطس عام ٩٦٣م/ ١٩ رجب عام ٣٥٢هـ)(١١)، أخذ على عاتقه الاستمرار فى محاربة المسلمين شرقا وغربا، مما دفع بعض المؤرخين المحدثين إلى اعتبار حروب نقفور الثانى فوقاس ضد المسلمين، جهاداً مقدساً، وحروبا دينية صليبية "Holy War"، وأن العناية الإلهية اختارته للقيام بها، وكما أطلق عليها المؤرخ الروسى "أوسترجورسكى" Ostrogorsky: "حروباً دينية Sacred mission"، وسايره فى ذلك عدد من الباحثين(١٢). مما يجعلنا نتساءل: هل فعلا كانت حروب "نقفور الثانى فوقاس" ضد المسلمين حروبا دينية صليبية"؟

إن الذى دفع البعض إلى اعتبار حروب نقفور الثانى فوقاس ضد المسلمين حروبا دينية، هو

النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء ٢٤، تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٨٣، ص ٣٧٠، انظر أيضاً:

Niccolo Fatori: The Policies of Nikephoros II Phokas in the context of the Byzantine economic recovery, a degree of master, Middle East Techinical University, 2013, p.55.

(١٠)Ostrogorsky: The history of the Byzantine State, pp.251-252,

دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية، ص ص ١٦٢-١٦٣.

(١١)خدمت مجموعة من الظروف نقفور "الثانى" فوقاس، وهيأت له فرصة تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية، فقد مالت إليه الاميرة "ثيوفانو" Theophano أرملة الإمبراطور رومانوس الثانى، وأعجبت به كقائد عسكرى، ولم تلبث أن تزوجت به عام ٩٦٣م، بعد المناداة به إمبراطوراً على الدولة البيزنطية، بشهر واحد، وتعهد نقفور بحفظ حقوق ولدى رومانوس فى العرش. انظر:

Ostrogorsky: The history of the Byzantine State, P.252; Cambridge. Mediavel history, Cambridge 1975-79, vol.4, p.71,

السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ص ٤٦١-٤٦٣.

(١٢)Ostrogorsky: The history of the Byzantine State, p. 247,

عمر كمال توفيق : الإمبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الأراضى المقدسة، الإسكندرية ١٩٥٩، ص٣٥؛ تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ١٩٦٧، ص١١٥؛ محمد صالح منصور: أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية، بنى غازى ١٩٩٦، ص١٤٦، صابر دياب: المسلمون، وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٩.

شخصية نقفور الثانى، من ذلك ميله الطبيعى إلى الزهد، وما كان يجده من متعة فى مصاحبة رجال الدين، وما كان يقضيه من أوقات طويلة خاشعا فى الصلاة(١٣)، بالإضافة إلى تلك الصداقة الوطيدة التى ربطته مع القديس "أثناسيوس" St. Athanasius، وما تبع ذلك من قيامه بتأسيس أكبر دير فى "لاورا" Laure فى جبال آتوس Athos(١٤)، وإذا أضفنا إلى ذلك مظهره العام، حيث اتصفت حياته بالبساطة فى كل شيئ، وخاصة فى منظره وثيابه، وخشونة طبعه(١٥)، وهو ما جعله يبدو قريباً من هيئة رجال الدين الفرسان.

ومن ناحية أخرى، فإن ما صدر عن نقفور الثانى فوقاس من أعمال وأقوال، إنما تدل دلالة واضحة على أنه أكَنَّ حقداً وكرهاً للمسلمين(١٦)، وكما يقول ابن الأثير "كانت همته قصد بلاد الإسلام"(١٧)، ومن ناحية أخرى: فإن ما ذكره المؤرخ ابن العديم (ت ٦٦٠هـ): أنه بعد استيلاء نقفور الثانى فوقاس على طرسوس عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م، صعد على منبرها وقال لمن حوله : "أين أنا"؟،

---

(١٣)Ostrogosrky: The history of the Byzantine State, p.253

(١٤)Schlamberger : Un Empereur Byzantinae dixieme siecle, Nicephore Phocas, pp.387-88, Ostrogorsky: The history of the Byzantine State, p.253., Vasiliev: History of the Byzantine Empire 324-1453, Madison 1952, p.279

- جبل آتوس، عبارة عن شبه جزيرة نانتئة داخل البحر الإيجى بالقرب من ساحل سالونيك، وأصبح هذا الجبل، زمن الأسرة المقدونية، مركزاً دينياً وثقافياً. انظر : هسى: العالم البيزنطى، ترجمة: رأفت عبد الحميد، القاهرة، عام ١٩٨٢م، ص ص ٣٠١-٣٠٢، فايز نجيب اسكندر : أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، الإسكندرية، عام ١٩٨٥م، ص ١٦٦ هامش رقم ١٤٧
- لم يستمر تشجيع الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس لرجال الدين فى الدولة البيزنطية، فعلى الرغم من إغداقه على البطريرك "بوليوكتوس" Polyeuktos ، إلا أن هذا الاغداق لم يلبث أن توقف، وتحول إلى تقتير كبير، وأخذ نقفور الثانى يدعو إلى الحد من انتشار الأديرة، وأن يتم الانفاق على الجيش بدلا من الأديرة، انظر : ,Schlumberger: Nicephore Phocas, p.393؛ السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٤٧١، وسام فرج: **قوانين الملكية الزراعية فى الأراضى البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى، دراسة تحليلية**، مقال منشور فى ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، المجلد الثانى، القاهرة ١٩٨٣، ص ص ٣٢٢-٣٢٨.

(١٥)Leo the Deacon; The history, p.98

(١٦) أشار ابن الأثير، دون غيره من المؤرخين، إلى أن نقفور الثانى كان والده فى الأصل رجلا مسلما من أهل طرسوس، ثم تنصر، (راجع: الكامل، ج٨، ص ٦٠٧).

(١٧) الكامل ، ج٨، ص ٦٠٧.

فقالوا : "على منبر طرسوس"، فقال: "لا"، "ولكنى على منبر بيت المقدس، وهذه كانت تمنعكم من ذلك"[١٨]. ليؤكد على تشجيع نقفور الثانى رجاله بالقيام بغزو سائر أراضى وأقاليم الدولة الإسلامية، بصفة عامة، وذلك على عكس دعوة البابا "أوربان الثانى" بعد ذلك فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى/ الخامس الهجرى، للقيام بالاستيلاء على بيت المقدس من يد المسلمين، وهى التى أدت إلى ما عُرف فى التاريخ باسم "الحروب الصليبية"[١٩].

أما المحرك الأساسي لقيام نقفور الثانى فوقاس بمحاربة المسلمين، بعد توليه عرش الإمبراطورية البيزنطية، فهو: رغبته فى استكمال الانتصارات التى أحرزها عليهم فى شمال بلاد الشام، عندما كان قائدا "دمُستق" على جيوش الإمبراطورية فى الشرق، قبل توليه العرش[٢٠]، ولما كانت تجرى فى عروقه دماء القيادة العسكرية، حيث إنه كما سبق ذكره سليل أسرة ارستقراطية عسكرية، فإنه لم يستطع التخلى عن فكره العسكرى، ولذلك أولى حروبه مع المسلمين اهتماماً كبيراً، ومن الملاحظ أن "ليو الشماس" لم يذكر شيئا، على الإطلاق، عن دافع دينى عند نقفور فوقاس، يدفعه لمحاربة المسلمين، وإنما أكد على أن هذه الحروب ما هى إلا استمراراً لسياسة عسكرية

---

(١٨) زبدة الحلب من تاريخ الحلب، ج١، ص ١٣٧.

- طرسوس: مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم.

انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت ١٩٥٧م، ج٤، ص٢٨.

(١٩) وعن دعوة البابا أوربان للحروب الصليبية انظر:

فوشيه دى شارتر: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ٢٠٠١، ص ص ٨٧-٩٤، ريموند آجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ص ٨٢-٨٣، انظر أيضاً: Ugust C. Krey: The first crusade, Minnesote 1958, pp.68-70؛ عبد السلام محمد زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠٠٤، ص ص ١١٥-١٢٥.

- أوربان الثانى Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م/ ٤٨١-٤٩٢هـ) هو الراهب الكلونى الفرنسى أودو دى لاينى Odo de Lagny الكاردينال وأسقف أوستيا Ostia، تولى كرسى البابوية حتى وفاته عام ١٠٩٩م، ٤٩٢هـ. انظر: آمال حامد زيان: الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين والحملة الصليبية الأولى، فى ضوء كتاب "الالكسياد"، القاهرة ٢٠١٠م، ص٦١.

(٢٠) Niccolo Fattori: The policies of Nikephoros II Phokas in the context of the Byzantine economic recovery, pp.53-54

اتبعتها الدولة البيزنطية منذ زمن طويل(٢١). هذا مع ملاحظة أن ليو الشماس رجل دين، فلو لمس عند نقفور دافعاً دينيا لما أهمل ذكره، كذلك من أتى بعد ليو الشماس من المؤرخين البيزنطيين مثل "جورج سدرنيوس" Georgii Cedrenus، والمؤرخ "حنا سكلتيز" Joanis Scylitzae، وهما من أقرب المؤرخين لعصر نقفور الثانى فوقاس، لم يشيرا إلى وجود دافع دينى عند نقفور الثانى فوقاس، فى حربه مع المسلمين(٢٢).

أما إذا جاز لنا أن نشير إلى أحد أباطرة الدولة البيزنطية؛ السابقين على أوربان الثانى، الداعين لشن حربا دينية ضد المسلمين، فإن الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنتيوس (٩١٣-٩٥٩)Constantine VII Porphyrogenitus هو الذى يستحق ذلك، فهو أول من نادى بشن حربا دينية ضد المسلمين، حيث دعا إلى ضرورة الاستعداد للحرب والقتال ضد المسلمين، وأخذ يثير الحماس فى نفوس رعاياه، أسوة بما كان يجرى عند المسلمين من الدعوة للجهاد ضد الروم(٢٣).

ومن ناحية أخرى: فإن المؤرخين المسلمين المعاصرين، أو من أتى بعدهم وعاصروا فترة الحروب الصليبية، لم يذكروا من قريب أو بعيد قيام الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس بحربٍ دينية ضد المسلمين، فهذا هو المؤرخ ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م) أحد المؤرخين المسلمين النابهين، والذى تمتع بقدرة كبيرة على ربط الأحداث بعضها ببعض، فعندما بدأ تأريخه للحروب الصليبية، لم يرجع بدايتها إلى زمن نقفور الثانى فوقاس، وإنما أرجعها إلى زمن استيلاء الأسبان على طليطلة

---

(٢١)Leo the Deacon: The history, p.94

انظر أيضا: محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٢٧٥.

(٢٢) انظر: جورج سدرنيوس فى كتابه "خلاصة التاريخ"، Historiarum compendium، تاريخ الدولة البيزنطية منذ بدء الخليقة وحتى عام ١٠٥٧م.

Corpus scriporum Byzantinae, Bonnae 1839, T.II, pp.440-452,

-حنا سكلتيز فى كتابه تاريخ الدولة البيزنطية "Exoperpta ex Breviaria historica" بين عامى ٨١١ و ١٠٥٧م، وقد قام مؤخرا جون وورتلى Johan Wortley بترجمته إلى الإنجليزية تحت اسم: A Synopsis of Byzantine history 811-1057, Cambridge 2010

(٢٣) انظر ما كتبه الإمبراطور قسطنطين السابع فى كتابه : التنظيمات الإدارية De Admininistando Emperio; الترجمة الإنجليزية التى قام بها المؤرخ جنكز Jenkes، Washington 1967, pp.79-85، والترجمة العربية التى قام الدكتور محمود سعيد عمران تحت اسم إدارة الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٨٠، ص ص ٧٤-٧٨، وانظر أيضا:

Rambaud: L'Empire grec au dixieme siecle, constantin porphyrogenete, Paris, 1870, p.436,

السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٤٢٥.

عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، واستيلاء النورمان على صقلية عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، بتشجيع من البابوية(٢٤).

ولكن لا يعنى ذلك أن نجرد حروب "نقفور الثانى فوقاس"، وغيره من الأباطرة البيزنطيين، من النعرة الدينية على الإطلاق، ففى العصور الوسطى، بصفة عامة، سيطر على الحروب بين المسلمين والروم فكرة الجهاد الدينى، فكلا الجانبين كانا يثيران فى نفوس معاصريهم الحماسة الدينية، حتى يحققوا انتصاراتهم(٢٥). ولكن دون أن يصل إلى درجة المناداة بحربٍ صليبية، كما حدث فى نهاية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى.

أما بالنسبة لصقلية: فلم تكن حملة الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس عليها، عام ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م، هى الأولى من نوعها، فالمعروف أنه منذ أن فتح المسلمون جزيرة صقلية، وانتزعوها من أيدى الروم(٢٦)، لم تهدأ ثائرة الأباطرة البيزنطيين، حيث قاموا بمحاولات عديدة من أجل استعادتها من يد المسلمين، ولكن دون جدوى(٢٧)، إلى أن تولى الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس عرش الإمبراطورية، فسارع بإرسال حملة عسكرية كبيرة إلى جزيرة صقلية(٢٨).

ولم يرغب نقفور الثانى فوقاس أن يؤخر إرسال هذه الحملة طويلا، وإنما بادر بإرسالها بعد

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج١٠، ص ٢٧٢..

(٢٥) يحيى بن سعيد الأنطاكى: تاريخه، بيروت ١٩٠٩، ص ١١٩، ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ١١٩-١٢٠.

(٢٦) استمرت عمليات فتح المسلمين لجزيرة صقلية منذ عام ٢١٢هـ/٨٢٦م إلى عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م، وخلال هذه المدة أخذت مدن وموانئ وحصون صقلية تتساقط فى أيدى المسلمين، ولم يعد خارجا عن يد المسلمين سوى مدينتى طبرمين ورمطة.
انظر: ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٧، ص ٥-٣٢٠، وانظر أيضاً: لويس أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٢١، تقى الدين عارف الدورى: صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النورمندى، العراق ١٩٨٠، ص ص ٣٤-٨١، حامد زيان : تاريخ الحضارة الإسلامية فى صقلية وأثرها على أوربا، القاهرة ١٩٧٧، ص ص ١١-١٧.

(٢٧)Gibbon: The decline and fall of Roman Empire, Britain 1960, p.124; وانظر أيضا الترجمة العربية للدكتور محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٩٧، ج٣، ص ٩٣-٩٨ ؛
Bury: Eastern Roman Empire, London 1962, p.308

(٢٨)Leo the Deacon: The History, p.115

أن تولى حكم الدولة البيزنطية مباشرة، فى العام الأول من ولايته العرش[٢٩]، مما يؤكد على أهمية هذه الحملة للإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، فما هى العوامل الملحة التى دفعت الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس إلى إرسال تلك الحملة إلى صقلية، على الرغم من إنشغاله بالجبهة الشرقية التى قضى بها سنوات طويلة من حياته، ويدرك جيدا أهميتها بالنسبة لتأمين الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية[٣٠]؟

يأتى فى مقدمة هذه العوامل: العامل الشخصى، فمنذ الأيام الأولى لشباب نقفور فوقاس، إنخرط فى محاربة المسلمين، وتولى بنفسه قيادة جيوش الإمبراطورية البيزنطية فى الشرق، وقام بالعديد من الحملات العسكرية فى آسيا الصغرى وشمال بلاد الشام[٣١]، مما جعل ميدان الحرب والقتال ضد المسلمين أمراً عادياً بالنسبة له، ولذلك بعد أن تولى عرش الدولة البيزنطية، رأى استئناف عمليات الحرب ضد المسلمين سواء فى الشرق أم فى الغرب.

أما العامل الثانى فيتمثل فى: رفض الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس الاستمرار فى دفع الجزية السنوية التى تعهد بدفعها الإمبراطور قسطنطين السابع للمسلمين، بمقتضى المعاهدة التى عقدها مع والى صقلية "الحسن بن على بن الحسين الكلبى" عام ٣٤٠هـ/٩٥١م، والتى جُدِّدت عام ٣٥٠هـ/٩٦١م[٣٢]، زمن الإمبراطور رومانوس الثانى (٩٥٠-٩٦٣م) والتى بلغ مقدارها أحد عشر

---

(٢٩) John Skylitzes: A Synopsis, p.251

(٣٠) فتحى عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، القاهرة ١٩٦٦، الكتاب الأول، ص ص ٢١٣-٢٥٧. كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وآخرين، بيروت ١٩٨٥، ص ص ١٥٩-١٩٢.

(٣١) مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروى حسن، بيروت ٢٠٠٣، ج٥، ص ص٣٣٣-٣٣٥، يحى بن سعيد الأنطاكى: تاريخه، ص ص ١١٦-١١٧، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ص ٤٨٥-٤٨٦، ٥٠٨.

(٣٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨ ص ٤٩٤، النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ص ٣٨٤-٣٨٨.

- الأمير الحسن بن على بن الحسن الكلبى، كان مقربا من الخليفة المنصور الفاطمى (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)، ولذلك ولاه حكم صقلية عام ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م، واستمر واليا على صقلية حتى ولاية المعز لدين الله الخلافة، فى شهر شوال عام ٣٤١هـ/فبراير ٩٥٣م، فعاد إلى أفريقية، واعتذر عن استمراره فى حكم صقلية، وطلب من الخليفة المعز أن يولى أمرها إلى ابنه أحمد بن

ألف دينار[٣٣]. ويؤكد المؤرخ حنا سكلتيز: أن الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، شعر بأنه من العار أن يستمر فى دفع الجزية للمسلمين[٣٤]. وبالفعل قام بقطع إرسال هذه الأموال للمسلمين بصقلية، وكان هذا يعنى إعلان الحرب بين الجانبين[٣٥].

وتشكل الانتصارات التى أحرزتها الدولة البيزنطية على المسلمين، بجزيرة كريت، واستعادتها نهائياً منهم، عام ٣٥٠هـ/٩٦١م[٣٦]، عاملا هاماً فى قيام نقفور الثانى بحملته على صقلية، حيث كانت تلك الانتصارات مشجعاً له على استكمال جهوده من أجل بسط النفوذ البيزنطى على مياه البحر المتوسط.

أما الشرارة التى أوقدت نار الحرب فى صقلية، وأدت إلى مسارعة الإمبراطور نقفور الثانى فى إرسال الحملة إلى صقلية، فتعود إلى ما حدث فى شهر نوفمبر عام ٩٦٢م/ذى القعدة عام ٣٥١هـ، من قيام حاكم صقلية "الأمير أحمد بن الحسن بن على الكلبى"، من بسط نفوذه على كل من مدينتى "طبرمين" Taormina و"رمطه" Rametta، وكانا يمثلان آخر جيوب المقاومة البيزنطية للحكم الإسلامى بصقلية[٣٧]، وذلك تنفيذا لخطاب تكليف الخليفة المعز لدين الفاطمي له بحكم

الحسن، فوافق المعز، وولى أحمد بن الحسن حكم إفريقية، عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م. انظر: النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٦٩، المقريزى: اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الشيال، القاهرة ١٩٦٧، ج١، ص١٠١، ابن= =أبى دينار: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، طبعة تونس عام ١٢٨٦هـ، ص٦٠. وانظر أيضا: حسين مؤنس : تاريخ المغرب، ص ٥٤٣-٥٤٥.

(٣٣)Schlumberger: Nicephore Phocas, p.438

(٣٤)A Synopsis, p.252

(٣٥) السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٤٩٠.

(٣٦) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٦٨، أنظر أيضا : اسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، القاهرة ١٩٨٣، ص ص ٢٣٥-٢٤٥.

من الجدير بالذكر أن "الدمستق" القائد نقفور فوقاس، الإمبراطور نقفور الثانى فيما بعد هو الذى تولى قيادة الحملة التى استعادت جزيرة كريت من يد المسلمين.

انظر: Schlumberger: Nicephore Phocas, p.51-52

(٣٧) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، نشر المطبعة الحسينية، القاهرة ج٢، ص٩٦، أنظر أيضا: عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبى، ليبيا ١٩٨٠، ص ٣٧، طارق منصور: بيزنطة والعالم الخارجى، الجزء الاول : البيزنطيون والعالم الإسلامى، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٢١٢.

صقلية حيث أمره "بفتح القلاع التى بقيت للروم بصقلية"(٣٨).

وتنفيذاً لأوامر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، توجه الأمير "أحمد بن الحسن الكلبى" إلى حصن "طبرمين"، فشدد عليه الحصار، غير أن أهل طبرمين استمروا فى المقاومة، مما أطال مدة ذلك الحصار لمدة سبعة أشهر ونصف، قطع خلالها المسلمون المياه عن الحصن، مما أضطر أهله فى النهاية إلى الاستسلام التام. فأمنهم أحمد بن الحسن الكلبى، ودخل الحصن فى شهر ذى القعدة عام ٣٥١هـ/ ديسمبر عام ٩٦٢م، وأطلق على قلعة طبرمين اسم "القلعة المعزية"، نسبة إلى سيده الخليفة المعز لدين الله(٣٩).

وبعد أن فرغ أحمد بن الحسن الكلبى من أمر حصن طبرمين، توجه إلى حصن وقلعة "رمطة" فى أوائل العام التالى (٣٥٢هـ/٩٦٣م)، وفرض عليه الحصار(٤٠)، وأخذ قائد الجيش

- طبرمين: حصن منيع، يقع على جبل مطل على البحر، وله مرسى جيد، وإليه تحمل البضائع من كل مكان، عامر بالأسواق، انظر : الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج٢ ص ص ٥٩٥-٥٩٦.
- رمطة: قلعة حصينة بجزيرة صقلية، تقع على بعد من البحر، فوق الجبل، وكانت شبه غائرة فى الجبل بعيدة عن الرؤية، لم يكن من السهل الوصول إليها. انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣، ص٦٨.

(٣٨)ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بولاق ١٢٨٤هـ، ج٤ ص ٢٠٩.

- المعز لدين الله الفاطمى هو أبو تميم سعد بن إسماعيل المنصور بالله القائم بأمر الله بن المهدى، ولد بالمهدية بالمغرب، فى يوم الاثنين ٢١ رمضان عام ٣١٩هـ/ ٩ أكتوبر ٩٣١م، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه فى شهر شوال عام ٣٤١هـ/ فبراير ٩٥٣م، واستمر يلى الخلافة حتى وفاته فى شهر ربع الثانى عام ٣٦٥هـ/ ديسمبر ٩٧٥م.
- انظر : ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان، ليفى بروفنسال، نشر المكتبة الأندلسية، د.ت، ج١، ص ٢٢١، ابن ايبك الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس المعروف باسم الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٦١، ص ١١٩؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج١ ، ص١٠١؛ ابن أبى دينار : المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، ص٦٠.

(٣٩) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٤٣.

(٤٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٤٤.

"الحسن بن عمار" فى قذفها بالمجانيق(٤١)، فما كان من أهالى "رمطة" من الروم إلا أن استغاثوا بالإمبراطورية البيزنطية(٤٢)، غير أن الظروف التى كانت تمر بها الدولة البيزنطية حينئذ، عقب وفاة الإمبراطور رومانوس الثانى، فى شهر مارس عام ٩٦٣م/ صفر عام ٣٥٢هـ، وما حدث من صراع على عرش الدولة البيزنطية، ذلك الصراع الذى انتهى بتتويج نقفور الثانى فوقاس امبراطوراً على عرش الدولة البيزنطية، فى ١٦ أغسطس عام ٩٦٣/١٩ رجب عام ٣٥٢هـ – كل ذلك حال دون إرسال النجدات إلى أهل رمطة، مما دفعهم، بعد استقرار الأمور بالدولة البيزنطية، إلى مناشدة الإمبراطور نقفور الثانى: أن يرسل إليهم مساعدات عاجلة، لإنقاذ مدينتهم من السقوط فى يد المسلمين(٤٣). مما دفع الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" إلى المسارعة فى إرسال تلك الحملة إلى صقلية(٤٤).

وعلى هذه النحو اكتملت لدى الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" مجموعة من الأسباب التى شجعته على إعداد حملة عسكرية ضخمة، وإرسالها إلى جزيرة صقلية لاستعادتها من يد المسلمين.

وقد أعد الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، لهذه الحملة، جيشا جرارا قوامه – كما ذكر

- يذكر المؤرخ النويرى أن جيوش أحمد بن الحسن الكلبى وصلت إلى قلعة رمطة بقيادة الأمير الحسن بن عمار فى يوم الخميس آخر شهر رجب عام ٣٥٢هـ/١٢ أغسطس ٩٦٣م، ونصب عليها المجانيق، وأخذ فى قذفها. انظر: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٠.

(٤١) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٠.

- الأمير الحسن بن عمار هو ابن أخى الأمير الحسن بن على الكلبى. انظر: حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، جدة ١٩٩٠، ص٥٤٥.
- مجانيق مفردها منْجَنِيق: آلة حربية قديمة، تعمل بالحبال والروافع، تقذف الأحجار الثقيلة على أسوار المدن والحصور، وتقذف أيضاً كور اللهب. انظر: المعجم الوسيط، نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة ١٩٨٥، ج٢، ص ٨٨٩، معجم مصطلحات التاريخ، نشر مجمع اللغة العربية، القاهرة ٢٠١١، ج١، ص ٢٠٤.

(٤٢) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٠.

(٤٣) يشير المؤرخ النويرى إلى ذلك بقوله : "استنصروا بالدمستق ملك القسطنطينية"، انظر: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٠. انظر أيضا:

Sara C. Davis-Secord: Sicily and the Meadieval Mediterranean communication networks and inter-regional exchance, notre Dame, 2007, p.105.

(٤٤) منى محمود السيد البرى: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية، رسالة ماجستير ، آداب عين شمس، ١٩٩٦م، ص٨٠.

المؤرخون المسلمون – "أربعون ألف جندى"(٤٥)، وزوده بالمعدات والسلاح، فضلا عن أسطول ضخم اشتمل على السفن ذات الصفين من المجانيف المعروفة باسم "الدرمونة" Dromonds(٤٦)، المزودة بقاذفات النار الإغريقية(٤٧). مما جعل هذه الحملة تبدو فى صورة: أكبر حملة تم توجيهها إلى جزيرة صقلية، منذ أن أستولى عليها المسلمون، حيث كانت كبيرة الحجم، كما وصفها المؤرخ البيزنطى سكلتيز (٤٨). ويشير المؤرخ النويرى إلى أنه لم تشهد صقلية من قبل حملة بيزنطية بمثل هذا الحجم(٤٩).

فى البداية: لابد من الإشارة إلى أن الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، لم يصحب هذه الحملة، فقد آثر البقاء فى الشرق، حيث فضّل استئنافه لمعاركه السابقة ضد الحمدانيين فى شمال بلاد الشام، حيث كان له سابق خبرة فى هذا الميدان(٥٠)، ولذلك كان عليه أن يختار لقيادة هذه الحملة قادة قادرون على تحقيق النصر على المسلمين.

---

(٤٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٤، ص ٥٥٥٦، ابن خلدون : العبر، ج٤، ص ٢٠٩.

(٤٦) الدرمونه إحدى السفن الحربية اليونانية القديمة ، يقوم على قيادتها ما بين مئتى رجل إلى ثلثمئة، وقد وصفت بأنها سفينة خفيفة سريعة الحركة وقد وصفها رنسيمان بـ "العداءة" لشدة جريانها .
انظر: لويس أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية، ص٤٨، ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٦١، ص ١٨٠، درويش النخيلى: السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية ١٩٧٤، ص ص ٤٦-٤٨.

(٤٧)Norman H. Baynes: The Byzantine Empire, London 1958, p.148-149,
وانظر ايضاً الترجمة العربية التى قام بها الدكتور حسين مؤنس وآخرين، القاهرة ١٩٥٠، ص ١٩٠. وعن النار الإغريقية انظر:
وسام فرج : **النار الإغريقية طبيعة تركيبها وأثرها فى نشاط المسلمين البحرى**، مقال فى كتاب بيزنطة، قراءة فى التاريخ السياسى، القاهرة ٢٠٠٥، طارق منصور ومحاسن الوقاد: النفط استخدامه وتطوره عند المسلمين، القاهرة ٢٠٠٦،
Haldon and Byrne: A possible Solution to the problem of Greek Fire, Byzantinische, Leipzig 1977.

(٤٨)A synopsis, p.252

(٤٩) نهاية الأرب ، ج٢٤، ص ٣٧١.

(٥٠) الثعالبى: يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت ١٩٨٣، ج١، ص ص ٣٧-٧٠، ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، طبع الهند ١٣٥٨هـ، ج٧، ص ٨، ١٩، ٢٤، ابن ايبك الدوادارى: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الخامس المعروف باسم : الدرة السنية فى أخبار الدولة العباسية، تحقيق دوروتيا كرافولسكى، بيروت، ١٩٩٢، ص ص ٤٠٧-٤٠٨، ٤١١.

ولذلك وضع على قيادة الجيش المصاحب لتلك الحملة، كما يذكر ليو الشماس، ابن أخيه المسمى "مانويل Manuel"(٥١)، وعلى الرغم من الأوصاف السيئة التى وصف بها ليو الشماس هذا القائد، من كونه حاد الطبع، متهوراً، عنيداً، سريع الاندفاع، عديم التفكير(٥٢)، وكلها صفات تؤدى إلى حدوث كارثة محتملة لهذا الجيش، الذى كان على قائده أن يتحلى بالصبر والاستماع إلى الآخرين، والتريث، وعدم الاندفاع فى اتخاذ القرارات(٥٣)، إلا أن الإمبراطور نقفور فوقاس أراد أن يجعل القيادة لرجل يثق به ويطمئن إليه ، أى أنه جعل الثقة قبل الخبرة.

وسيراً على ذلك: جعل الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس قيادة الأسطول، وكما يذكر المؤرخ ليو الشماس أيضا، لأحد الرجال الذى يثق بهم تمام الثقة، ألا وهو الطواشى البطريق "نيكتاس" Niketas(٥٤)، الذى وصفه ليو الشماس بأنه "رجل يخشى الله ويبجله"(٥٥)، ولم يكن البطريق

---

(٥١)The history, p.115

ورد فى الترجمة الإنجليزية لكتاب ليو الشماس ما نصه :

"As commander of the cavalry he appointed his nepew manuel", see: The history, p.115

فى حين ورد عند سيكلتيز أنه اختار ابن عمه ليو:

Manuel was the illegitimate son of his father's brother Leo ". see: A synopsis, p.252.

(٥٢)Leo the Deacon; The history, p.115

اشترك المؤرخ "سكلتيز" مع "ليو الشماس" فى وصفهما للقائد مانويل بهذه الأوصاف ، انظر:

A Synopsis, p.256

(٥٣) وعن الصفات التى يجب أن تتوافر فى القيادة انظر:

الشيزرى : المنهج المسلوك فى سياسة الملوك، تحقيق على عبد الله الموسى، الأردن ١٩٨٧، ص ص ٥٣٩-٥٥٦، ابن طولون: نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق محمد أحمد دهمان، بيروت ١٩٩١، ص ص ٧٨-٨٤؛ قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية، ص ص ٦٥-٧٣.

(٥٤)Leo the Deacon: The history, p.115

- الطواشى : هو الخصى الذى استخدم فى الشرق الإسلامى وفى الدولة البيزنطية، ووصل الخصيان فى الدولة البيزنطية إلى مراتب عليا، لدرجة أنهم شغلوا المناصب الهامة، حيث كانت الوظائف الهامة يحتفظ بها الخصيان.

انظر : ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية ، ص ١٠٢، ١٠٣، وسام عبد العزيز فرج: **الأتباع والسادة، دراسة فى ظاهرة التبعية الشخصية فى العصر البيزنطى الأوسط**، مقال منشور ضمن كتاب بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، القاهرة ٢٠٠٣، ص ١٥٠.

- بطريق Patrician: أعلى لقب فى الإمبراطورية البيزنطية، أنشأه الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٥-٣٣٧م) واستمر موجودا بالدولة البيزنطية، ومن الملاحظ أن البطريق الخصى كان فى العادة أعلى منزلة من البطريق العادى.

"نيكتاس" هذا إلا شقيق "البركمومنيوس" Parakoimomenos ميخائيل كبير الحجاب، الذى كان يثق به الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس ثقة كبيرة، ولذلك عهد إلى شقيقه نيكتاس بقيادة الأسطول[٥٦].

ولاشك فى أن الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" باختياره كلا من البطريق "مانويل" والقائد "نيكتاس" لقيادة جيش وأسطول هذه الحملة، قد اعتقد أنه بذلك سوف يحقق نجاحا كبيراً لها، لكننا لاحظنا أن "ليو الشماس" منذ البداية، لم يثن على هذا الاختيار[٥٧].

ومن الملاحظ أيضا أن المؤرخ ليو الشماس لم يذكر أسماء أخرى، غير البطريق مانويل والقائد نيكتاس، فيمن تولى قيادة هذه الحملة[٥٨]، إلا أنه تواتر فى المراجع ذكر شخصية أخرى صحبت هذه الحملة، وهو "نقفور الشيخ"، وهو أحد الرجال المقربين من الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس ، اشتهر بالبر والتقوى وكان أحد رجال الكنيسة داخل البلاط الإمبراطورى، حيث جعله الإمبراطور مستشاراً للقائد مانويل، ويقوم بصفته رجل دين بالدعاء للحملة بالتوفيق والسداد، وكان فى نية الإمبراطور أن يعين "نقفور الشيخ" بعد ذلك حاكما على المناطق التى سوف يستعيدها البيزنطيون، فى كل من جنوب إيطاليا وصقلية[٥٩].

وقد ضمَّت هذه الحملة، إلى جانب الجنود الروم، عدداً من الأرمن، والروس المشهورين بقوة

انظر : رنسيمان : الحضارة البيزنطية، ص ٩٢-٩٣.

(٥٥)Leo the Deacon: The history, p.115

(٥٦)Schulmberger: Nicephore Phocas, p.445

- البركموميِنوس Parakoimomenos هو كبير الحجاب أو كبير الأمناء، وهو أعلى وظائف البلاط الإمبراطورى، كانت قصرا على الطواشيه، ومن أهم مسئولياته الإشراف على غرفة نوم الإمبراطور، ويعتبر صاحب هذه الوظيفة، أقرب الناس للإمبراطور : انظر.

رنسيمان : الحضارة البيزنطية، ص١٠٢، وسام عبد العزيز: **الألقاب والمناصب**، ص٤٧، Ostrogorsky: The history of the Byzantine State, p.220

(٥٧)Leo the Deacan: The history, p.115

(٥٨)Leo the Deacon: The history, p.115

اشترك أيضا سكلتيز مع ليو الشماس فى عدم ذكر قادة آخرين لهذه الحملة.انظر:
A synopsis, p.456.

(٥٩)Schlumberger: Nicephore Phocas, p.446,

السيد الباز العرينى: ألدولة البيزنطية، ص ٤٩٢، طارق منصور: بيزنطة والعالم الخارجى، الجزء الأول، ص ٢١٣.

المراس، وشدتهم فى الحرب، وجماعة من البيالصة من آسيا الصغرى، الذين عرفهم المسلمون جيداً، وعرفوا منهم البأس والضراوة فى القتال(٦٠).

ولكن ماذا عن موقف حاكم صقلية: أحمد بن الحسن الكلبى من هذه الاستعدادات، وتلك الحملة التى سوف توجه إلى بلاده؟

ما أن وصلت أخبار تلك الاستعدادات التى يقوم بها الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" لغزو جزيرة صقلية، إلى سمع الأمير "أحمد بن الحسن الكلبى" إلا وقام بعدة خطوات، من أجل الحفاظ

(٦٠) Schlumberger: Nicephore Phocas, p.447,
السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٤٩٣.

- الأرمن : طائفة من الروم، يقال لبلادهم بلاد الأرمن، غير أنهم يختلفون عن الروم فى المذهب، حيث كان مسيحيو الأرمن يؤمنون بالمذهب اليعقوبى، خلافا للروم الذين يدينون بالمذهب الخلقدونى، وبرغم ذلك انخرط عدد كبير من الأرمن فى الجيش البيزنطى كجند مرتزقة. انظر: علية الجنزورى: إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٧٥، ص ص ٣٧-٣٨، فايز نجيب اسكندر: أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، الإسكندرية ١٩٨٢، ص ١٤٦، وديع فتحى : العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى، الإسكندرية ١٩٩٥، ص ١٤٢ هامش رقم ٤.
- الروس: شعب تركى سكن فى شمال أوربا، وبعد استقرارهم فى كييف أخذوا فى مهاجمة الدولة البيزنطية، وفى زمن الإمبراطور نقور فوقاس قام بمسالمتهم وعقد معاهدة سلام معهم، واستخدمهم فى الجيش البيزنطى، وقد أطلق عليهم اسم "الورنك" varangian، ويشير يحيى بن سعيد الانطاكى إلى أنه بعد مقتل نقفور فوقاس أرادوا الانتقام ممن قتله. انظر: تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى، ص١٣٨، قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٦٦، Cedrenus: Historiarum compendium, tom11, p.605، عليه عبد السميع الجنزورى: العلاقات البيزنطية الروسية، القاهرة ١٩٨٩، ص ص ٩٦-٩٧، ١٠٣-١٠٤، وعن أوصاف الروس انظر: ابن فضلان: رسالة بن فضلان، تحقيق سامى الدهان، بيروت ١٩٨٧م، ص ص ١٤٩-١٦٦، الكرديزى: زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة ٢٠٠٦، ص ص ٣٩٤، ٣٩٥؛ القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٧٩، ص ٥٨٦.
- البيالصة/ أو البيالسة Paulikaioi: ينسبون إلى بولس السميساطى (الشمشاطى) ويعرفون أيضا بـ "البوالق" ، تكونت هذه الطائفة من المسيحيين الأصوليين الآسيويين فى آسيا الصغرى وارمينيا، وكان بولس هذا اسقفا بكنيسة أنطاكية فى القرن الثالث الميلادى، وأخذ مذهبهم ينتشر فى آسيا الصغرى ثم فى أوربا بعد ذلك، وكانت لهم علاقات بكل من الدولة البيزنطية والمسلمين. انظر : فايز نجيب اسكندر: **غزو الإمبراطورية لأرمينية سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م**، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ص ٣٢-٣٣، سيد أحمد الناصرى: الروم، القاهرة ١٩٩٣، ص ص ٣٠٢-٣٠٣.

جزيرة صقلية، إلى سمع الأمير "أحمد بن الحسن الكلبى" إلا وقام بعدة خطوات، من أجل الحفاظ على الجزيرة ومنع سقوطها فى يد الروم، كان أول تلك الخطوات هو: إرساله على وجه السرعة لسيده الخليفة "المعز لدين الله" بإفريقية يطلب منه إرسال قوات عسكرية تساعده فى التصدى لهذه الحملة[٦١]، ولم يتأخر الخليفة المعز، فاستجاب لطلب أحمد بن الحسن، وأرسل إليه قوة عسكرية بقيادة الأمير "الحسن بن على الكلبى" وهو والد الأمير أحمد، وزوده بما يلزمه من عدة وعتاد، ووصل الأمير الحسن الكلبى إلى صقلية على رأس هذا الجيش فى شهر رمضان عام ٣٥٣هـ/ سبتمبر عام ٩٦٤م، أى قبل وصول حملة نقفور الثانى إلى صقلية بما يقرب من شهر[٦٢]، ولذلك توجهت هذه القوات إلى حصن رمطة للمشاركة فى حصاره مع قوات أحمد بن الحسن[٦٣].

أما الخطوة الثانية التى قام بها الأمير أحمد بن الحسن الكلبى، فتتمثل فى: قيامه بإعداد جيش كبير من المسلمين الموجودين داخل صقلية، ويؤكد على ذلك المؤرخ "ابن الأثير" فيذكر أنه "جمع الرجال المقاتلة فى البر والبحر"[٦٤]، وبذلك أصبح لديه قوة عسكرية كبيرة، وجهها إلى رمطة، تحت قيادة القائد الحسن بن عمار.

ولم يكتف الأمير أحمد بن الحسن الكلبى بذلك، وإنما عمل على أن تستكمل البحرية الإسلامية بصقلية استعدادها، فقام بإصلاح ما لديه من سفن حربية[٦٥]، لتصبح البحرية الإسلامية، بصقلية، فى كامل قوتها لمجابهة حملة الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس المرتقبة[٦٦].

---

(٦١) ابن خلدون : العبر، ج٤، ص ٢٠٩.

(٦٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٦.

- آثر الخليفة المعز إلا يرسل قائدا أخر غير والد الأمير أحمد بن الحسن على رأس هذا الجيش، وذلك حتى لا يحدث خلاف بين القائدين، هذا من ناحية،ومن ناحية أخرى، كان الأمير "الحسن بن على الكلبى" له خبرة سابقة بالقتال بصقلية، حيث تولى حكمها فيما سبق عدة سنوات، مما أكسبه معرفة جيدة بدروبها ومسالكها، وهذا يوضح مدى حنكة ودهاء الخليفة المعز لدين الله. انظر: السيد عبد العزيز سالم وآخرين: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، بيروت ١٩٨٩، ص ص ١٣٩-١٤١.

(٦٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٦.

(٦٤) الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٦.

(٦٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج ٨، ص ٥٥٦.

(٦٦) تمتعت الدولة الفاطمية بأسطول قوى، وتمتع رجاله بخبرة حربية بحرية جيدة، ومن أهم أسلحته:

على كل حال: بعد أن اطمأن الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس على كل الاستعدادات الخاصة بتلك الحملة، وما اشتملت عليه من قوات وعدة وعتاد، الأمر الذى جعله يتأكد تماما من إحراز النصر على المسلمين بصقلية، قام بقطع الجزية التى كانت ترسلها الدولة البيزنطية للولاة الكلبيين بصقلية(٦٧)، وذلك إيذانا بخرق الهدنة بين البلدين، إعلانا للحرب بينهما.

وبالفعل تحركت الحملة متجهة صوب صقلية، وعبرت البحر الإدرياتى، حيث وصلت إلى شواطئ صقلية فى شهر شوال عام ٣٥٣هـ/أكتوبر عام ٩٦٤م، ويذكر "ليو الشماس" أن السفن البيزنطية رست بأمان على شاطئ صقلية، واصطفت فى صفوف منتظمة على ساحل صقلية، دون أن تواجه صعوبة فى ذلك، ولذلك ساد الفرح والبهجة كل المشاركين فى هذه الحملة، وتيمنوا نجاحا كبيرا لمهمتهم لما لمسوه من بداية هادئة طيبة، ولم يجدوا مشقة فى الاستيلاء على بعض الموانئ الهامة، مثل "سيراكوز" Syracuze، مما دفعهم إلى إقامة القداس الدينى شكراً لله على هذا النجاح(٦٨).

تابعت الحملة زحفها على مدن صقلية الساحلية، حيث استطاعوا الاستيلاء على كل من مدن "طبرمين" (تارومين Taormina) و"لنتينى" Leontini، ويقرر ليو الشماس أن ذلك حدث دون

النار الحارقة التى اخذوها عن البيزنطيين وقاموا بتطويرها، كما أن البنادقة زودوا الفاطميين بما يلزمهم من أخشاب لصناعة السفن الحربية، كما زودوا تلك السفن بما تحتاجها من معدات حربية انظر:

ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٤٧٣، ٥٤٣، انظر أيضا لويس ارشيبالد: القوى البحرية، ص٢٤١، هايد: **تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى**، ترجمة أحمد محمد رضا، القاهرة ١٩٨٥، ج١، ص١٢٨، حامد زيان: **النار الإغريقية بين الروم والمسلمين**، مقال بحصاد اتحاد المؤرخين العرب رقم ٢٠ عام ٢٠١٢، ص ص ١١٥-١٣٢.

(٦٧)Skylitze: A synopsis, p.256

(٦٨)Leo the Deacon: The history, p.115

- سيراكوز : (سرقوسة): إحدى مدن وموانئ صقلية المشهورة، يقول عنها ياقوت الحموى: من مشاهير المدن وأعيان البلاد، تشد إليها المطى من كل حاضر وباد، ويقصد إليها قصاد التجار من سائر جميع الأقطار، انظر : معجم البلدان، ج٣، ص٢١٤.

إراقة دماء(٦٩)، كذلك توجهت قوات الحملة البيزنطية إلى مدينة "مسينى" Messina، واستولت عليها بدون قتال أيضاً، ويشير النويرى إلى أن رجال الحملة البيزنطية قاموا بحفر خندقٍ حولها، كما شيدوا عليها أسواراً عالية، وذلك حتى لا يستطيع المسلمون استعادتها مرة أخرى"(٧٠). ويذكر "ليو الشماس" أن القائد "مانويل" لم يكتف ببذل الجهد فى سبيل حراسة المدن التى استولى عليها، وإنما عمل على تأمين مناطق العُشب والحشائش، وذلك حتى يضمن وجود الغذاء لجياد الحملة، كما وضع يده على مختلف الأماكن الغنية بالمواد الغذائية(٧١).

مما يجعلنا نتساءل: أين كانت القوات الإسلامية فى ذلك الوقت؟ ولماذا تركت قوات الحملة البيزنطية ترسو بأمان على شواطئ صقلية دون أن تشتبك معها؟ وتركتها تستولى على هذه المدن الهامة دون قتال؟

لقد انشغلت القوات الإسلامية، بقيادة الأمير أحمد بن الحسن الكلبى، ومعها القوات التى أرسلها الخليفة المعز بقيادة والده –كما سبق ذكره– بحصار مدينة "رمطة" Rametta الواقعة داخل الجبل بعيداً عن الساحل، أى بعيدًا عن مسرح أحداث الحملة، ولذلك لم تكن القوات الإسلامية متواجدة على الشاطئ أثناء رسو سفن الحملة البيزنطية على سواحل صقلية، مما أدى إلى عدم الاشتباك معها، بالإضافة إلى ذلك: فإن الأمير أحمد بن الحسن الكلبى، أمر بإخلاء تلك المدن من القوات العسكرية الإسلامية المتواجدة بها، وكانت قليلة العدد، وذلك حتى لا تتعرض للقتل والإبادة أمام قوات الحملة البيزنطية ذات الأعداد الهائلة، وقد أمر الأمير أحمد بأن تنسحب القوات الإسلامية إلى المناطق الصحراوية المجاورة لتلك المدن، انتظاراً لهجوم مباغت على قوات الحملة البيزنطية. واتخذ من هذه الأماكن الصخرية الجبلية، كما يقول ليو الشماس، خط دفاع طبيعى،

---

(٦٩)Leo the Deacon: The history, p.116.

– ليتتينى: مدينة ذات قلعة حصينة، تبعد عن البحر بستة أميال، لها ميناء على البحر يسهل به رسو جميع السفن، وتمتعت بأراضٍ خصبة واسعة، وصفها الإدريسى بقوله: "فسيحة الارجاء، ممتدة الفضاء، بها أسواق عامرة، كثيرة الفنادق، مزدحمة بالبشر"، انظر: نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٩٧.

(٧٠) نهاية الأرب ، ج٢٤، ص ٣٧١.

– مسينى: يذكر الإدريسى أنها تقع فى شرق جزيرة صقلية، ويقول عنها ياقوت الحموى: بليدة على ساحل جزيرة صقلية.. مقابل ريو"، انظر : نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٥، معجم البلدان، ج٥ ص ١٣٠.

(٧١)Leo the Deacon: The history, p.116

للتصدى لمن يقوم بمهاجمتهم(٧٢).

ومعنى ذلك: أن انسحاب القوات الإسلامية إلى خارج المدن التى استهدفتها حملة الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، كان وفق خطة عسكرية وضعها الأمير أحمد بن الحسن الكلبى، يقوم بعدها بهجوم مباغت على قوات تلك الحملة، أو كما أشار ليو الشماس "اتخذوا من تلك الأماكن الجبلية كمائن"(٧٣).

وكان على القائد "مانويل"، بعد أن استولى على بعض المدن الساحلية الهامة، وقام بتأمينها، وتأمين أماكن الغذاء لجنوده وجياده – أن يتجه بقواته إلى مدينة "رمطة" الواقعة تحت حصار المسلمين منذ ما يزيد على عام تقريبا(٧٤)لمساندتها ومساعدتها فى الصمود أمام هذا الحصار.

ومن الجدير بالذكر: أنه حتى هذه اللحظة لم يشتبك جيش حملة نقفور الثانى مع جيش المسلمين بصقلية، فما حدث قبل ذلك لم يكن سوى مناوشات قامت بها الحاميات الإسلامية، من كر وفر، وكما شاهدنا: فقد تركوا لهم المدن تسقط فى أيديهم، وانسحبوا إلى المناطق الصحراوية المجاورة، إلى أن أخذت قوات الحملة فى التوجه إلى "رمطة" الواقعة فى المنطقة الداخلية من صقلية، (فى أواخر عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٤م) ، هنا وضع القائد "الحسن بن عمار" خُطة عسكرية محكمة للقضاء على هذه الحملة ذات الأعداد الكبيرة، فأقام الأكمنة على مختلف الممرات، ووضع مجموعات من الفرق العسكرية عند المضايق ومفترق الطرق(٧٥)، متحاشيا بقدر الإمكان: الدخول مع رجال الحملة البيزنطية فى حرب مكشوفة، وإنما قواته بالقيام بهجمات سريعة متتالية لإرباك حركتهم.

وقد صور المؤرخ "ليو الشماس" تصويراً دقيقاً، المعاناة التى عاناها الجيش البيزنطى أثناء زحفه إلى رمطه، وتلك المناوشات العسكرية التى قامت أكمنة المسلمين بها، أو كما يصفهم ليو

---

(٧٢)Leo the Deacon: The history, p.116

(٧٣)Leo the Deacon: The history, p.116

(٧٤) بدأ المسلمون فى فرض الحصار على مدينة رمطة فى يوم الجمعة الموافق ٢٧ رجب عام ٣٥٢هـ/ ٢١ أغسطس عام ٩٦٣م. انظر:

ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٥٤٤، النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤ ص ٣٧٠، انظر أيضا : Schlumberger: Nicephore phocas, p.447

(٧٥) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧١.

الشماس "الأجاريين Agarenes"(٧٦)، وهجومهم المتوالى على فرق الجيش الرومانى، خلال المنحدرات الصخرية المليئة بالحفر، وما قامت به مختلف الفرق الإسلامية من هجمات(٧٧).

وعلى الرغم من كل ذلك: فقد سارت فرق جيش الحملة فى اتجاه "رمطة" على شكل فرق منفصلة، بلغت كما يقول النويرى "ستة مواكب"، أو ست فرق، ووصلوا إلى "رمطة" حيث انضم إليهم سكانها من الروم، الذين فرحوا بهم فرحا كبيراً(٧٨).

وبالإضافة إلى الأكمنة الإسلامية: كان الجيش بقيادة "الحسن بن عمار"، الذى قام بتقسيمه إلى أربعة أقسام، وجه قسماً منه لمساندة القوة المحاصرة لرمطة، وعهد إليه أيضا بقطع اتصال أهالى رمطة بجيش الحملة البيزنطية، ووجه القسم الثانى إلى جيش الحملة لمواجهة قائدها "مانويل"، فى حين وجه قسمين آخرين إلى الأودية المجاورة، للقيام بالهجوم المفاجئ على جيش الحملة، فى الوقت المناسب، أو بمعنى آخر: جعلهما كمينين يفاجئان الروم بالهجوم، والجميع كما تذكر المصادر استماتوا فى القتال(٧٩).

ونتيجة هذه الخطة العسكرية، التى وضعها قادة المسلمين بصقلية، لم تطل أفراح رجال الحملة البيزنطية كثيراً، فلم تلبث أن انقلبت هذه الأفراح إلى أحزان، فكما يذكر "ليو الشماس": قامت قوات المسلمين بهجوم شرس مفاجئ على مختلف فرق الحملة، وسط صياح وجلبة وأصوات عالية، أثارت الفزع والخوف فى نفوس الجنود الروم(٨٠)، ومما زاد الأمر سوءاً: حدوث برق ورعد، وتلك السحابة السوداء التى أظلمت بسوادها سماء المعركة، وحجبت ضوء الشمس، مما أدى إلى حدوث ظلام دامس، تعذر على أثره أن يرى رجال الحملة البيزنطية مشاهدة الجنود المسلمين، أو

---

(٧٦) كلمة Agarenes الهاجريون مشتقة من اسم "السيدة هاجر" زوجة إبراهيم عليه السلام، تميزاً للمسلمين الذين هم من سلالة السيدة هاجر، ولم يكن ليو الشماس وحده هو الذى استخدم هذا اللفظ، فإن كثيراً من المؤرخين البيزنطيين السابقين لقبوا المسلمين بهذا الاسم. انظر على سبيل المثال:
Constantine porphyrogentus: De Administrando Imperio, p.87; choronographaie quae Theophanis continuate, Germany 2011, p.191; Genesios: The reigns of the Emperors, translated to English by: Anthony Kaldollis, Canberra 1998, p.39.

(٧٧)Leo the Deacon: The history , p.117.

(٧٨) نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧١.

(٧٩) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٥٥٧؛ النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص٢٧٢.

(٨٠)Leo the Deacon: The history, p.116

حتى يروا مكان أقدامهم، فوقع معظمهم فى الحفر التى أقامها الجيش الإسلامى(٨١). ويشير المؤرخ النويرى إلى: أنه نتيجة ذلك فر معظم الجيش البيزنطى من ساحة المعركة(٨٢).

وقد بذل القائد "مانويل" جهدا كبيرا من أجل لم شمل جنوده، وحثهم على الثبات فى المعركة وعدم الفرار، وذكر النويرى إلى أن "مانويل" عندما رأى رجاله يفرون من المعركة، صاح فيهم قائلاً: "أين افتخاركم بين يدى الملك؟ أين ما ضمنتم له فى هذه الشرذمة القليلة؟(٨٣)

ويفهم من هذه الكلمات التى صاح بها القائد مانويل، أن معظم قيادات الحملة، قد استهانت بقوة المسلمين بصقلية، واعتقدوا اعتقاداً راسخاً بحصولهم على النصر بسهولة، وتعهدوا بذلك أمام الإمبراطور البيزنطى "نقفور الثانى فوقاس"، وتباهوا وافتخروا بذلك بين يديه!!

ولم يقف القائد "الحسن بن عمار" هو الآخر ساكنا أمام إثارة مانويل لحماس القوات البيزنطية، فقام هو الآخر بإثارة الحماس فى نفوس جيشه، فقال داعياً الله عز وجل : "اللهم إن بنى آدم أسلمونى، فلا تسلمنى"(٨٤).

وقد الهبت هذه الكلمات الحماس فى نفس أفراد القوات الإسلامية "فاستماتوا وحملوا على الروم"(٨٥)، و"عزموا على الموت"(٨٦)، وقاموا بشن هجوم عنيف على الجيش البيزنطى، مما أدى – كما يذكر – "ليو الشماس" إلى سقوط الكثير من أفراده صرعى فى الحفر العميقة، وفى الأراضى شديدة الوعورة المحيطة برمطة(٨٧)، وقد حاول عدد من الجنود الرومان الفرار من لهيب هذه المعركة، إلا أن الجنود المسلمين كما يقول "ليو الشماس": "انطلقوا ورائهم، حيث وقع رجال الجيش البيزنطى، فريسة سهلة"(٨٨).

وعلى هذا النحو أسفرت هذه المعركة، التى أطلق عليها المؤرخون المسلمون اسم "وقعة

---

(٨١)Leo the Deocon: The history, p.116

(٨٢) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٢.

(٨٣) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٢.

(٨٤) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٢.

(٨٥) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٠٩.

(٨٦)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٦.

(٨٧)Leo the Deacon: The history, p.116

(٨٨)Leo the Deacon: The history, p.117

الحُفرة"[٨٩]، نسبة إلى وقوع الروم الفارين من المعركة فى تلك الحفرة الكبيرة التى كانت على شكل خندق مجاور لرمطة، فتساقطوا فيها من خوفهم من سيوف الجند المسلمين[٩٠]. ويشير النويرى إلى أن هذه الحفرة : "امتلأت منهم على طولها وعرضها وعمقها، ومرت الخيول عليهم بسرعة"[٩١].

وهكذا أسفرت هذه المعركة – معركة الحُفرة – عن هزيمة ساحقة لجيش حملة نقفور الثانى فوقاس على صقلية، ووقوع ما يزيد عن عشرة آلاف قتيل من جنود الروم[٩٢]، كان من بينهم القائد "مانويل" نفسه[٩٣]. ويصور المؤرخون المسلمون الكيفية التى قُتل بها مانويل، حيث حاول الجند المسلمين أثناء القتال الوصول إليه وقتله، بالطعن بالسهام أو الرماح، لكن لم تؤثر فيه تلك الطعنات "لكثرة ما عليه من اللباس"، فقام بعض الفدائين من الجند المسلمين، بطعن الفرس الذى يمتطيه مانويل، عسى أن يسقط مانويل على الأرض، وبالفعل ما إن سقط الفرس صريعاً، وتبع ذلك سقوط مانويل، إلا وانهال عليه الجند المسلمون طعناً حتى قُتل، وقُتل معه جماعة من قادة الحملة وبطارقها[٩٤].

هذا فضلا عن وقوع عدد كبير من الروم، سواء من القادة أو الجند، أسرى فى يد القوات الإسلامية، بالإضافة إلى وقوع أعداد كبيرة من السلاح والعتاد فى أيدى المسلمين[٩٥]. وعلى حد تعبير ابن الأثير : "وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الأموال، ما لا يحد"[٩٦].

إزاء هذا الوضع السيئ الذى أمست فيه قوات الحملة البيزنطية، وتلك الهزيمة القاسية التى لم

---

(٨٩)النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧١؛ يذكر بعض الباحثين أنها تسمى أيضاً معركة "رمطة"، وذلك نسبة إلى مدينة رمطة التى وقعت المعركة أمامها. أنظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ١٩٦٤، ص١٠٤.

(٩٠)ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٧.

(٩١) نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٢

(٩٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٣.

(٩٣)Leo the Deacon: The history, p.116

(٩٤) ابن الأثير : الكامل، ج٨، ص ٥٥٧. النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤ ص ٣٧٢. ابن خلدون : العبر، ج٤، ص ٢٠٩.

– يذكر الدكتور حسين مؤنس: أن القائد البطريق مانويل قتل فى معركة المجاز، وهذا خطأ، فقد حدث خلط عند الدكتور مؤنس بين معركتى الحُفرة ومعركة المجاز. انظر: تاريخ المغرب، ص ٥٤٥.

(٩٥)Leo the Deacon: The history, p.116

(٩٦) الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٧.

يتوقعها قادتها، ووقوع تلك الأعداد الكبيرة قتلى وأسرى: خارت قوى باقى جنود الحملة البيزنطية، وحاولوا الفرار فى اتجاه الشاطئ، حيث كانت السفن البيزنطية راسية(٩٧)، واستقلوا تلك السفن، وهربوا فى اتجاه مدينة "ريو"(٩٨)، فما كان من القوات الإسلامية بقيادة الأمير "أحمد بن الحسن الكلبى" إلا أن سارع بزكوب سفنه وسار خلفهم، حتى لا يتركهم يهربون، وأخذ فى مهاجمتهم، وحتى يعوق حركة السفن البيزنطية سريعة الحركة: قام عدد من الفدائيين المسلمين بإلقاء أنفسهم فى المياه، وخرق مراكب الروم، مما أدى إلى إغراق عدد كبير منها، وانهال المسلمون عليهم ضربا وقتلا، لدرجة أن مياه المجاز الواقع بين مدينة ريو وجزيرة صقلية، اختلطت بدماء الروم، فاحمر لونه(٩٩)، أو على حد تعبير النويرى: "حتى أحمر المجاز"(١٠٠) وكان ذلك فى مطلع عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م.

ثم قامت السفن الإسلامية بقذف السفن البيزنطية، التى لم تغرق بعد، بالنار الحارقة، فتم إحراقها، مما أدى إلى حدوث خسائر كبيرة فى مختلف قطع سفن الأسطول البيزنطى(١٠١). وقد عرفت هذه المعركة البحرية فى المصادر الإسلامية باسم "معركة المجاز" نسبة إلى ذلك المجاز الواقع بين جزيرة صقلية ومدينة ريو بجنوب إيطاليا، وأسفرت عن تدمير الأسطول البيزنطى تدميراً كبيراً، ووقع قائده البطريق "تيكتاس" آسيراً فى يد القوات الإسلامية، وأرسل مكبلا بالحديد إلى حضرة الخليفة ""المعز لدين الله" بإفريقية(١٠٢).

ومن الملاحظ أن المؤرخ "ليو الشماس" لم يستطرد فى ذكر تفصيل أحداث معركة المجاز، واكتفى فقط بالإشارة إلى إغراق السفن البيزنطية، وأسر البطريق "تيكتاس"، وإرساله مقيداً إلى الخليفة

---

(٩٧)Leo the Deacon: The history, p.116, 117

(٩٨) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٨.

- مدينة ريو: تقع مدينة ريو فى قلورية بجنوب إيطاليا، فى اتجاه جزيرة صقلية، وقد حاول المسلمون الاستيلاء عليها مراراً لكن استعادها الروم منهم.

انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٣ ص ١١٦، وانظر أيضا:

إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوربا، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٦٥؛ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٨٧، ص ١٦٣.

(٩٩) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٨.

(١٠٠) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٣.

(١٠١)Leo the Deacon: The history, p.117

(١٠٢) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٠٩.

الفاطمى بإفريقية(١٠٣).

وعلى الرغم من أن الأسطول البيزنطى دمر فى هذه المعكرة تدميراً كاملاً، وأُسر خلالها قائده، إلا أن ليو الشماس، مثله فى ذلك مثل بعض المؤرخين البيزنطيين، لا يميل إلى الخوض فى تفاصيل هزائم الروم، وذلك حتى لا يظهر ضعفهم وهزائمهم، وإنما اكتفى فقط بمجرد الإشارة إليها.

أما أهالى مدينة رمطة من الروم، فعلى الرغم من الهزيمة الساحقة التى حَلَّت بالحملة البيزنطية التى أتت لإنقاذهم، إلا أنهم استمروا صامدين، ولم يستسلموا للقوات الإسلامية المحاصرة لهم، "وأصروا على القتال" على حد قول المؤرخ "ابن الأثير"، وحتى يتسنى لهم الاستمرار فى الصمود أمام الحصار: قاموا بإخراج الضعفاء منهم خارج "رمطة"، ولم يتبق داخل "رمطة" سوى القادر على القتال فقط(١٠٤).

وعندما تأكد القائد "الحسن بن عمار" من استمرار أهالى "رمطة" فى المقاومة ورفضهم الاستسلام، شدد عليهم الحصار، واستمر فى قتالهم، ونَصب على أسوار "رمطة" السلالم، واستطاع الجند المسلمون، عن هذا الطريق، اقتحامها بالقوة، وقاموا بقتل من بها من الجنود، كما وقعت فى أيديهم كثير من الغنائم، وعملوا بعد ذلك على تعمير ما بها من أماكن خربتها الحرب (١٠٥).

وعلى هذا النحو حَلّت الهزيمة بحملة الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس على صقلية، وقُتل وأُسر الكثير من رجالها، وقد اعترف "ليو الشماس" بهذه الهزيمة، حيث قال: إنه قُضى على معظم الجيش المصاحب لهذه الحملة، سوى قلة قليلة استطاعت الهرب والعودة إلى الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس(١٠٦).

وقد سَرت الفرحة بين مسلمى جزيرة صقلية ابتهاجاً بهذا النصر العظيم، خاصة وأن هذه الحملة، بما حوته من أعداد كبيرة واستعدادات ضخمة، لم يسبق لصقلية أن تعرضت لمثلها(١٠٧)، وبرغم ذلك: قد تم القضاء على معظم جيشها، وتدمير الكثير من السفن المصاحبة لها، ووقوع الكثير من الغنائم فى يد القوات الإسلامية، ومن الجدير بالذكر: أنه بعد وصول أخبار الانتصارات

---

(١٠٣)Leo the Deacon: The history, p.117

(١٠٤) الكامل فى التاريخ، ج٨ ص ٥٥٧-٥٥٨.

(١٠٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٧-٥٥٨.

(١٠٦)Leo the Deacon: The history , p.117

(١٠٧) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧١.

والغنائم والأسرى إلى "بالرمو" (بلرم) عاصمة المسلمين بصقلية، وكان موجوداً بها "الأمير الحسن بن على الكلبى" والد الأمير "أحمد" حاكم صقلية؛ فاشتدت فرحته لما سمعه وشاهده، "وأصابته الحمى من الفرح"، فمات على إثر ذلك، فحزن عليه أهل صقلية حزنا شديدا"[١٠٨].

أما عن رد فعل هزيمة هذه الحملة على الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، وهو الذى توقع أن تحرز هذه الحملة انتصارا كبيراً على المسلمين، فقد أشار إليه المؤرخ "ليو الشماس" بقوله: "أصابه إحباط كبير، وأخذ الحزن يخيم عليه"، وذلك لما حلَّ بالحملة من مصير سيئ، وتدمير شديد[١٠٩]. غير أن الإمبراطور "نقفور فوقاس" بما تمتع به من قوة شخصية، ومقدرة على ضبط النفس، والتحكم فى عواطفه خلال الأوقات العصيبة، كما قال "ليو الشماس"- استطاع أن يبدو رابط الجأش، وتحمل هذه الهزيمة "بشرف وشجاعة ونبل"[١١٠].

ولما كان الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" رجلاً عسكريا فى المقام الأول، فقد رفض الاستسلام لهذه الهزيمة، وأصر على الانتقام من المسلمين الذين بددوا شمل حملته على صقلية. ورأى أن يوجه هذا الإنتقام إلى المسلمين المتواجدين بشمال سوريا!! (الجبهة الشرقية) حيث كانت له بها خبرات سابقة، وحقق عليهم انتصارات كثيرة كما سبق توضيحه.

وبالفعل، وكما يذكر ليو الشماس[١١١]، وغيره من المؤرخين البيزنطيين[١١٢]، والمسلمين[١١٣] والسريان[١١٤]: وجه عدة هجمات عنيفة تجاه سوريا فى نفس العام (٣٥٤هـ/٩٦٥م)، وحقق

(١٠٨) ابن خلدون: العبر، ج٤، ص ٢٠٩.

- بالرمو Palermo (بلرم) يقول عنها الإدريسى: "هى المدينة السنية العظمى، والمحلة البهية الكبرى،... دار الملك فى الزمن المؤتنف والسالف، ومنها كانت الأساطيل والجيوش تغدو للغزو وتروح"، تقع على ساحل البحر. انظر: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٩٠، انظر أيضا: الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤، ص ص ١٠١-١٠٢.

(١٠٩)Leo the Deacon: The history, p.117

(١١٠)Leo the deacon: The history, p.117

(١١١)Leo the Deacon: The history, pp.120-125

(١١٢) انظر على سبيل المثال:

Skyltzes: A synopsis, pp.256-258

(١١٣) انظر على سبيل المثال: ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص ١٣٦.

(١١٤) انظر على سبيل المثال: ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول، تصحيح الأب انطون صالحانى، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٩٤.

انتصارات عديدة على الحمدانيين(١١٥)، وبلغت قسوة نقفور فوقاس على مسلمى هذه الأماكن، ما أشار إليه المؤرخ "ابن العديم"، أنه كان ينتظر إلى أن يقوم المسلمين بزراعة أرضهم، ثم يقوم بعد ذلك بالإغارة عليها، وإفساد وتدمير تلك المزروعات(١١٦)!!، وهذا إن دل على شيئ فإنما يدل على ما ملأ قلب نقفور من حقد وكره للمسلمين، والتى زاد من إشعال نارها: تلك الهزيمة النكراء التى نالتها جيوش وأساطيل حملته السابقة على صقلية.

وعلى الرغم مما ملأ قلب الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس على المسلمين، شرقا وغرباً، من حقد وكره، إلا أنه ما لبث بعد مرور عامين أن أخذ يتقرب إلى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله(١١٧)، طالباً عقد اتفاقية سلام بين الجانبين، وأن يحل السلام والمودة بينهما محل الحرب والعدوان!!

وهذا الأمر الأخير، يجعلنا نتساءل عن الأسباب التى دفعت الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس إلى الركون إلى السلم ومهادنة الفاطميين، بدلاً من إعداد حملة عسكرية جديدة وإرسالها إلى صقلية، ليأخذ بثأر هزيمته فى الحملة السابقة، خاصة وأنه – كما سبق أن ذكرنا – حقق انتصارات كبيرة على المسلمين بشمال بلاد الشام.

ذكر المؤرخ ليو الشماس: أن الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس تمتع بإدراك جيد للأمور، وحكمة زائدة، وتعلم من خلال حروبه وسرحاته للصيد: الحذر التام، كما كان رابط الجأش، لا يتأثر كثيراً بما يحدث حوله، حيث تمتع بروح هادئة فى مختلف الظروف الصعبة(١١٨).

ولذلك بعد أن أخذت الظروف السياسية فى غرب البحر المتوسط تتغير، لم يقف الإمبراطور نقفور جامداً إزاء هذا التغيير، وإنما أخذت سياسته هو الآخر فى التغيير، وأخذ فى مسايرة الظروف الجديدة التى حَلَّت بحوض البحر المتوسط الغربى، وخاصة جنوب إيطاليا وصقلية، فبدلاً من

---

(١١٥) استولى الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" فى هذه الهجمات على كل من: المصيصة، وطرسوس، من يد الحمدانيين، وقد اعتبر نقفور استيلائه على طرسوس بداية الطريق إلى بيت المقدس!!.
انظر : ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص١٣٧، وانظر أيضا ماسبق ذكره ص ٧.

(١١٦) ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص١٣٦.

(١١٧) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٣٧٣.

(١١٨) Leo the Deacon: The history, pp.99, 114

إصراره على إشعال نار العداء مع الفاطميين، أخذ يتقرب إليهم، طالباً عقد اتفاقية سلام بين البلدين.

أما هذه الظروف السياسية الجديدة التى سادت جنوب إيطاليا وصقلية، فتتمثل فى:

أولاً: ما حدث من تقارب شديد بين مختلف المدن البيزنطية المطلة على ساحل كالابريا (قلورية) والدولة الفاطمية، وخاصة بعد قيام الأساطيل الفاطمية – بعد اندحار الأسطول البيزنطى فى معركة المجاز عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م – بتطهير شاطئ كالابريا من الوجود البيزنطى، فلم تجد تلك المدن قوة تستند إليها سوى قوة الفاطميين، لذلك أخذت هذه المدن فى طلب الهدنة من الفاطميين، فى مقابل تأدية بعض الأموال إليهم، وعلى حد قول ابن الأثير: "فبذل أهلها لهم – أى للفاطميين – من الأموال، وهادنوهم"[١١٩]. ومعنى ذلك: انتهاء النفوذ البيزنطى من تلك المناطق، التى سعت الدولة البيزنطية دائماً إلى تأكيد وجودها بها[١٢٠]. ولذلك كان على الإمبراطور نقفور فوقاس: أن يعمل سريعاً على إعادة النفوذ البيزنطى إلى تلك المناطق.

ثانياً: كان لتطلع الإمبراطور الألمانى "أوتو الأول" (٩٣٦-٩٧٣م/ ٣٢٤-٣٦٢هـ) لفرض نفوذه على جنوب إيطاليا[١٢١]، وذلك تحقيقا لهدفه فى إعادة إمبراطورية شارلمان إلى سابق

---

(١١٩) الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٨. انظر أيضا: السيد عبد العزيز سالم وآخرين: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص١٤٢.

(١٢٠) عن الجهود التى بذلها الأباطرة البيزنطيين السابقين لتأكيد حقوق الدولة البيزنطية فى جنوب إيطاليا انظر:

Theophanes confessor: the chronicle, translated to English by: Cyril Mango and others, Oxford 1997, pp.490-492, See also: Ostrogorsky: History of the Byzantine State, pp.109-110.

(١٢١) هارتمان وآخرون: الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، بيروت ١٩٨١، ص ١٤٤ هامش رقم ٦، ديفز: أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدى محمود، الإسكندرية ١٩٥٨، ص ٧٩، هسى :العالم البيزنطى، ترجمة : رأفت عبد الحميد، القاهرة ١٩٨٢، ص١٥٣.

- الإمبراطور "أوتو الأول" هو ابن وخليفة "هنرى الأول" المشهور باسم "هنرى الصياد: (٩١٩-٩٣٦)، أول ملوك الأسرة السكسونية التى حكمت ألمانيا، تولى حكم ألمانيا بعد وفاة والده عام ٩٣٦م، توّجه البابا "يوحنا الثانى عشر" امبراطورا على الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ٩٦٢م، واستمر فى الحكم إلى حين وفاته عام ٩٧٣م.

انظر : جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، بيروت ١٩٨٧، ص ص ١٤٧-١٤٩، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، بيروت د.ت، ص ١٩١.

عهدها[١٢٢]، سواء كان ذلك عن طريق القوة أو طريق السياسة والدبلوماسية[١٢٣]، وقد أخافت وأزعجت هذه التطلعات الدولة البيزنطية، خاصة وأن البيزنطيين اعتبروا ملوك الألمان برابرة، لا يرقون إلى مرتبة الأباطرة الرومان[١٢٤]، ولذلك أخذ الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" فى العمل على التحالف مع الفاطميين[١٢٥]، الذين أفزعهم كذلك دخول الإمبراطور الألمانى ميدان جنوب إيطاليا وصقلية[١٢٦].

ثالثاً: شعر الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" بإهانة كبيرة لاستمرار بقاء البطريق "نيكتاس" قائد أسطول الحملة البيزنطية المنهزمة على صقلية، أسيراً فى قبضة الفاطميين بتونس، ولما لم يكن فى نية الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس إرسال حملة عسكرية أخرى إلى صقلية، ليخلصه من الأسر، كان عليه العمل على إطلاق سراحة عن طريق الدبلوماسية والسياسة، لذلك سارع بخطب ود الفاطميين ، وإرسال رسالة ومجموعة من الهدايا للخليفة الفاطمى "المعز لدين الله"، من أجل فك اسر البطريق "نيكتاس" وإعادته إلى القسطنطينية[١٢٧].

وهكذا وجدت لدى الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" مجموعة من الأسباب جعلته يغير من سياسته العدائية تجاه الفاطميين، وفرضت عليه الركون إلى السياسة والدبلوماسية، وإقامة سلام بين البلدين، ولم يكن الخليفة "المعز لدين الله" الفاطمى أقل رغبة من الإمبراطور البيزنطى فى إقامة ذلك السلام، ويعود ذلك فى المقام الأول إلى رغبته فى تهدئة الأمور بالشمال الإفريقى وجزيرة صقلية، حتى يتفرغ لاستكمال مشروعه ومشروع أبائه وأجداده فى: وضع يده على مصر.

فقد تغيرت الظروف السياسية فى مصر تغيرا كبيرا، بعد أن أخذ الضعف يدب فى أوصال

---

(١٢٢) السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية، ص ص ٤٩٦-٤٩٧، سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٥، ج١، ص ٢٩٠.

(١٢٣)Ostrogorsky: A history of the Byzantine State, pp.258-259.

(١٢٤) نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٩٧، ج١، ص ٣٠٣، هُلستز: أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحى الشاعر، القاهرة ١٩٨٨، ص ١٤٩.

(١٢٥)Ostrogorsky: History of the Byzantine State, p.258,

ديفيز: أوربا فى العصور الوسطى، ص٧٩، تقى الدين عارف: صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط، ص١١٦.

(١٢٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٥.

(١٢٧)Leo the Deacon: The history, pp.126-127

الدولة الإخشيدية، بعد وفاة الإخشيد عام ٣٣٤هـ/٩٣٦م، وتدهور أحوال مصر زمن ولاية كافور الأخشيدى لها، بسبب حدوث صراع شديد على السلطة، ثم إزداد الضعف، وذلك التدهور، بعد وفاة كافور الأخشيدى عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م(١٢٨)، مما زاد من رغبة الخليفة "المعز لدين الله" فى الاستيلاء عليها(١٢٩)، وخير دليل على ذلك: ما قام به المعز، عام ٣٥٥هـ/٩٦٦م، من حفر الآبار فى الطريق من تونس إلى مصر، وذلك لتهيئة الطريق لغزوها والانتقال إليها(١٣٠).

وهكذا التقت رغبة الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، مع رغبة الإمبراطور البيزنطى نقفور الثانى فوقاس فى: إقامة السلام وعقد الهدنة بينهما، ليحقق كل واحد منهما أهدافه الخاصة.

وكان الإمبراطور نقفور الثانى هو البادئ فى طلب إقامة الصلح بين الدولتين، وقد أكد على ذلك المؤرخ "ليو الشماس"، عندما ذكر أن الإمبراطور نقفور الثانى أرسل سفارة إلى الخليفة الفاطمى المعز لدين الله(١٣١)، وجاء على رأسها السفير "نيقولاوس" Nikolaos الذى بُهر من الأبهة والعظمة التى أحاطت ببلاط الخليفة "المعز لدين الله الفاطمى"، كما أنه طاب قلبا بتلك الحفاوة التى استقبله بها الخليفة المعز(١٣٢)، وقد حمل "نيقولاوس" رسالة من الإمبراطور "نقفور الثانى فوقاس" إلى الخليفة "المعز لدين الله" يطلب فيها: إقامة سلام بين الدولتين، والإفراج عن البطريق "نيكتاس"، كما حملت هذه السفارة معها هدية سنية للخليفة الفاطمى، أهم ما فيها، كما يذكر ليو الشماس: سيف يعود إلى زمن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) سبق وأن أخذه الروم من إحدى قلاع فلسطين(١٣٣).

---

(١٢٨) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٥٩٠؛ ابن سعيد الأندلسى: المُغرب فى حُلى المغرب، تحقيق زكى محمد حسن وآخرين، القاهرة ١٩٥٣، ج١ ص ص ١٩٩-٢٠٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ج٤، ص ٩٩، ١٠٥. المقريزى: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، ص٩٦، ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت، ج٤، ص ص ١-١٠.

(١٢٩) ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب، ج١، ص ٢٢٨.

(١٣٠) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج١، ص١٩٦، انظر أيضا: حسن أحمد محمود، سيدة كاشف: مصر فى عصرى الطولونيين والأخشيديين، القاهرة ١٩٦٠، ص ٢٧٨.

(١٣١) Leo the Deacon: The history, p.126

(١٣٢) ابن أبى دينار: المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس، ص٣٣٥، انظر أيضا: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص١٠٥، حسن إبراهيم حسن، طه إبراهيم شرف: المعز لدين الله، القاهرة ١٩٦٤، ص٦٠، منى محمود السيد: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين، ص ٨٥.

فلسطين[١٣٣].

ومن الملاحظ أن المؤرخ "ليو الشماس" لم يشأ أن يظهر الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس فى صورة الرجل الضعيف، الساعى لإقامة سلام مع الخليفة الفاطمى، وإنما أظهره فى صورة الرجل القوى، الذى يسعى الجميع إلى خطب وده، والكل يجرى وراء إقامة جسور المودة معه، لذلك ذكر أن الخليفة الفاطمى استجاب سريعاً لخطاب نقفور الثانى فوقاس، لما حواه من ألفاظ شديدة اللهجة، وتهديد بإشعال نار الحرب، وتدمير وتخريب المدن والبلاد، إذا لم يستجب "المعز لدين الله"، ويطلق على الفور سراح البطريق "نيكتاس"، ويضيف وليم الشماس: أن الخليفة المعز لدين الله، أخافته هذه التهديدات، وأرسل على الفور البطريق نيكتاس، كما أرسل معه أيضا كافة الأسرى الذين تم أسرهم فى معركتى رمطه (الحُفرة) والمجاز، والذين كانوا فى سجونه، وذلك خوفاً من قيام نقفور الثانى بتنفيذ تهديداته، وشن عدة حملات فى البر والبحر[١٣٤]!!

غير أن الحقيقة عكس ذلك تماماً، فلم يلتزم ليو الشماس بالموضوعية التاريخية التى كان يجب أن يتحلى بها، ولم يعترف بحقيقة الأمر، ويذكر أن الإمبراطور نقفور الثانى استعطف الخليفة "المعز لدين الله" طالبا منه إجراء هذا الصلح، و قام بخطوتين هامتين حتى يرضيه: الخطوة الأولى إرسال السيف الذى أشار إله ليو الشماس، والذى يعود إلى زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، والإمبراطور نقفور الثانى يعلم جيدا مدى الصلة التى تربط الخليفة المعز لدين الله بالرسول الكريم محمد بن عبد الله وابنته السيدة فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) والتى ينتسب الفاطميون

---

(١٣٣)Leo the Deacon: The history, p.126

- ومن الجدير بالذكر أن كلاً من ابن الأثير وأبو الفدا والنويرى ذكروا أنه كان من بين الغنائم التى غنمها المسلمون فى موقعة رمطة "سيف هندى، مكتوب عليه: هذا سيف هندى وزنه مئة وسبعون مثقالا، طالما ضُرب به بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأُرسل إلى المعز مع الأسرى والرؤوس" انظر: الكامل ج٨، ص ص ٥٥٧، المختصر فى أخبار البشر، ج٢، ص٩٦، نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٣. ويبدو أنه حدث خلط عند كل من ابن الأثير وأبو الفدا والنويرى، فمثل هذا السيف الذى يعتبر أثر ذو أهمية كبيرة، يحتفظ به أباطرة الدولة البيزنطية، لايرسلوه صحبة الجنود فى المعارك، ولذلك نحن نرجح صحة حديث ليو الشماس، من أن هذا السيف احتفظ به ساسة الدولة البيزنطية، ثم أرسله نقفور هدية إلى المعز صحبة الرسالة المشار إليها. انظر: Leo the Deacon: The history, p.126

(١٣٤)Leo the Deacon: The history, p.127.

إليها، وما يمثله ذلك السيف من مشاعر طيبة عند الخليفة المعز. والخطوة الثانية لم يشر إليها ليو الشماس، وإنما أشار إليها مصدر معاصر آخر هو السفير "ليودبراند" Luidprand[١٣٥]، وهي: إرسال الإمبراطور نقفور الثانى مبلغا ماليا كبيرا للخليفة المعز، فدية للبطريق نيكتاس، وقد جمع الإمبراطور هذا المبلغ من ناتج ضريبة فرضها على أهالى الإمبراطورية البيزنطية[١٣٦].

لم يلبث أن وافق الخليفة "المعز لدين الله" على إقامة السلام بينه وبين الإمبراطور نقفور فوقاس، بعد أن استمرت المفاوضات لمدة شهرين، وتم عقد صلح بين الجانبين عام ٣٥٦هـ/٩٦٧م[١٣٧]، بموجبه تم إطلاق سراح البطريق نيكتاس[١٣٨] الذى ظل أسيراً لدى الدولة الفاطمية لمدة سنتين، عكف خلالها على نسخ عظات القديس باسيل، ومؤلفات القديس جريجورى النازيانزى Nazainze ، والقديس حنا كريزوستم Chriysostome[١٣٩]، ويذكر السفير "ليودبراند" أن البطريق نيكتاس عندما أطلق سراحه كان جسده نحيلاً جداً، لدرجة أنه أصبح كهيكل عظمى[١٤٠].

وإذا كانت مختلف المصادر الإسلامية، وكذلك المصدر البيزنطى المعاصر ليو الشماس، ومن أتى بعده، مثل سكلتيز: قد صمتوا جميعا[١٤١]، ولم يذكروا شيئا عن شروط هذا الصلح، فإننا نستطيع أن نستشف بعض ما ورد به من شروط مما قام به الخليفة الفاطمى "المعز لدين الله" من أعمال بعد عقد هذا الصلح، فقد أشار المؤرخ النويرى إلى: أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى

---

(١٣٥) السفير ليودبراند Luidprand كان يشغل وظيفة أسقف مدينة كريمونا Cremona، أرسله الإمبراطور أوتو الأول سفيرا إلى الدولة البيزنطية مرتين الأولى كانت عام ٩٤٩م زمن الإمبراطور قسطنطين السابع، والسفارة الثانية كانت عام ٩٦٨م زمن الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، وكلاهما كان الغرض منها، إعادة العلاقات الطيبة بين الإمبراطوريتين، وقيام تحالف بينهما انظر:

Ostrogorsky: History of the Byzantine State, p.258

(١٣٦)Luidprand of Cremona: The empassy to contaninople, translated to English by : F.A. Wright, London, 1930, pp.260-261.

(١٣٧) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢٤، ص ٣٧٣.

(١٣٨)Leo the Deacon: The history, p.127

(١٣٩)Schlumberger: Nicephore Phocas, p.462,

السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ، ص ٤٩٦.

(١٤٠)The empassy to constantenople, p.261

(١٤١)انظر : ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٥٥٨. النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ص ٣٧٣-٣٧٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢٠٩،

Leo the Deacon: The history, p.127; John Skylitzes: A synopsis, pp.256-257.

أرسل إلى حاكم صقلية الأمير "أحمد بن الحسن" رسالة يخبره فيها بعقد الصلح مع البيزنطيين "ويأمره ببناء أسوار المدينة وتحصينها، ويعلمه أن البناء اليوم خير من غد، وأن يبنى فى كل إقليم من أقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعاً ومنبراً، وأن يأخذ أهل كل إقليم بسكنى مدينتهم، ولا يتركوا متفرقين فى القرى"[١٤٢].

وبتحليل النص السابق يتضح أن كلا من الخليفة المعز لدين الله الفاطمى والإمبراطور نقفور الثانى فوقاس: اتفقا على ضرورة الوقوف بشدة أمام تطلعات الإمبراطور "أوتو الأول"، وضرورة عمل الاستعدادات اللازمة لمواجهته، فى حالة هجومه على صقلية، لذلك كانت أوامر الخليفة الفاطمى واضحة صريحة فى الإسراع بتحصين مختلف مدن صقلية وبناء أسوارها، وتوحيد صفوف أبناء الجزيرة من المسلمين، والتفافهم جميعا حول قياداتهم فى المساجد التى تمثل مركز القيادة فى العالم الإسلامى[١٤٣].

كذلك يُفهم مما أعقب ذلك من أحداث خاصة، عندما أرسل الخليفة المعز لدين الله أمره إلى حاكم صقلية أحمد بن الحسن، بإخلاء كل من مدينتى طبرمين ورمطة من المسلمين، وهدم أسوارهما، وتسليمهما للروم[١٤٤]. أنه كان من شروط الصلح تسليم هاتين المدينتين للروم.

وعلى الرغم مما كان لهذا الشرط من قسوة شديدة على الخليفة المعز، إلا أنه وافق عليه مضطرا، لعدم رغبته فى الاستمرار فى محاربة البيزنطيين فى الوقت الراهن، وذلك ليتفرغ لاتمام غزو مصر، والقضاء على بقايا قوة الإخشيديين بها.

وقد توقع الخليفة "المعز لدين الله" أن يمتعض أهالى صقلية وحاكمها من هذا الشرط، وخاصة بعد أن بذلوا الجهد والشيئ الكثير، من المال والدم، فى حفظ هاتين المدينتين واسترجاعهما من يد البيزنطيين، ولذلك ما إن أرسل الخليفة المعز لدين الله إلى القائد أحمد بن الحسن يأمره بتسليم هاتين المدينتين للروم، حتى "اغتم المسلمون لذلك"[١٤٥]، وتبرم القائد أحمد بن الحسن من

---

(١٤٢) نهاية الأرب، ج٢٤، ص ص ٣٧٣-٣٧٤.

(١٤٣) المعروف أنه منذ الأيام الأولى للفتوحات الإسلامية، أصدر الخليفة عمر بن الخطاب أمراً بإنشاء المساجد الجامعة فى مختلف المدن المفتوحة، لتكون مراكز للعبادة ومقراً للقيادة. انظر: حامد زيان: الفتح الإسلامى لمصر، مقال رقم ١١ ضمن موسوعة الثقافة التاريخية، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٢٥.

(١٤٤) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٤، ص ٤٧٤.

(١٤٥) النويرى : نهاية الأرب، ج٢٤، ص٣٧٤.

تنفيذ هذا الأمر، مما دفع الخليفة المعز لدين الله إلى عزله عن حكم صقلية، وأمره بمغادرتها وجميع أهله واتباعه، والعودة إلى تونس، وولى حكمها لأحد الرجال الموثوق بهم، وهو "يعيش" مولى الحسن الكلبى[١٤٦].

مما تقدم يتضح أن هناك أسباباً عديدة أدت إلى عدم الكشف عن شروط هذا الصلح والإفصاح عنه، الأمر الذى جعل المؤرخين مسلمين وغير مسلمين لا يشيرون إليه بالتفصل، وبمعنى آخر: أصبحت شروط هذا الصلح سرية غير معلنة، وذلك لأنها أولا: كانت موجهة ضد الإمبراطور "أوتو الأول"، وتنص على ضرورة تحالف القوات الإسلامية مع القوات البيزنطية لمواجهة خطر أوتو الأول[١٤٧]، وكان إعلان هذا البند من شروط الصلح، فى حد ذاته، يثير ثائرة الإمبراطور أوتو الأول، ويؤدى إلى فشل الجهود التى كانت تبذل فى تلك الأونة لتصفية الخلافات بينه وبين الإمبراطور نقفور الثانى[١٤٨]، **ثانياً**: كان التصريح بإخلاء مدينتى طبرمين ورمطة من المسلمين وتسليمهما إلى الروم، سيثير ثائرة المسلمين فى كل مكان، لذلك آثر الخليفة المعز أن يجعل هذا سراً، ثم يقوم بتنفيذه خطوة خطوة، حسب الظروف المتاحة وهذا هو ما حدث بالفعل.

على كل حال، بعقد هذا الصلح، هدأت الحروب والمناوشات بين الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، والمسلمين بصقلية، وانشغل كل منهما بأهدافه الخاصة، واستمر ذلك الهدوء حتى مقتل الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، فى يوم ٢٨ المحرم عام ٣٥٩هـ/ ١١ ديسمبر عام ٩٦٩م[١٤٩].

(١٤٦) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٤، ص٩٧. ابن خلدون: العبر، ج٤، ص٢٠٩.
- غادر الأمير أحمد بن الحسن الكلبى صقلية فى أواخر عام ٣٥٨هـ/ أكتوبر ٩٦٩م، وجميع أفراد عائلته واتباعه، واستقلوا ثلاثين مركبا، حيث اتجهوا إلى إفريقية، بعد أن دام حكم الأسرة الكلبية مدة طويلة (من عام ٣٣٦هـ/٩٤٧م إلى عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م)، الأمر الذى أدى إلى توطيد نفوذهم بصقلية، وهو الذى أخاف الخليفة المعز، وخشى أن يستقلوا بحكمها بعد انتقاله إلى مصر، وكان ذلك من بين أسباب عزله للأمير أحمد بن الحسن الكلبى. انظر: أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٤، ص٩٧، انظر أيضا: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ص ١٠٦-١٠٧.

(١٤٧) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ١٠٧.

(١٤٨) أرسل الإمبراطور أوتو الأول – كما سبقت الإشارة – سفارة إلى الإمبراطورية البيزنطية من أجل تصفية الخلافات بين البلدين، كان على رأسها الأسقف ليدوبراند الكريمونى.

انظر: Liudprand of Cremona: The empasy , pp.260-261. see also: Ostrogorsky: History of the Byzantine State, p.257-258, Vasileive: History of the Byzantine Empire, p.328.

(١٤٩) ميخائيل السريانى: تاريخه، ترجمة صليبا شمعون، حلب ١٩٩٦، ج٣، ص ٩٨، ابن الأثير :

الخاتمة

وفى الختام: نجمل نتائج هذه الدراسة فى عدة نقاط:

أولاً: كان لشخصية الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، كرجل محارب ينتمى إلى أسرة عسكرية، أثره فى قيامه بمحاربة المسلمين شرقا وغربا، وإذا كانت ميوله الدينية، وما عُرف به من التدين والزهد، قد دفع بعض الباحثين إلى اعتبار حروبه مع المسلمين، حروباً صليبية، فإن هذا لا يصدق كثيراً، فقد كان دافعه إلى تلك الحروب دافع سياسى، وهى نفس الأسباب التى جعلته يوافق على الصلح، وعقد معاهدة سلام مع الخليفة المعز لدين الله الفاطمى.

ثانياً: لم يحاول المؤرخ "ليو الشماس" إظهار الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس فى صورة الرجل الضعيف، فعلى الرغم من الهزيمة التى لحقت بحملته على صقلية؛ إلا أن ليو الشماس أرجع مسئولية هذه الهزيمة إلى قادتها وسوء تقديرهم، وإلى المناخ الذى ساد صقلية أثناء هذه المعركة، وإلى طبيعة أرض المعركة المليئة بالحفر والمستنقعات، ولم يوجه أى نقد للإمبراطور نقفور الثانى فوقاس.

ثالثاً: أساء المؤرخ "ليو الشماس" للمسلمين ورموزهم، مثله فى ذلك مثل بعض المؤرخين البيزنطيين، ولم يلتزم بالموضوعية التاريخية فى كثير من المواضع، وخير مثال على ذلك: أنه جعل الخليفة المعز لدين الله هو الساعى لعقد الصلح مع الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس، بسبب تخوفه من انتقام الأخير منه، فى حين أن الحقائق تؤكد على أن الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس كان هو الساعى لعقد هذا الصلح.

رابعا: اعتقد المؤرخ "ليو الشماس" بأن الاعتراف بما قام به الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس؛ من دفع قدر من المال إلى الخليفة المعز لدين الله فدية، نظير إطلاق سراح البطريق نيكتاس – عار على الدولة البيزنطية، لذلك أهمل ذكره تماما، وقام بعكس الحقائق، وجعل إطلاق الخليفة المعز للبطريق "نيكتاس" نتيجة تخوفه من الإمبراطور نقفور الثانى. مما أدى إلى تشويه الحقائق التاريخية.

خامساً: لم يتم الإعلان عن شروط الصلح حتى لا يؤثر ذلك على سير الأحداث التاريخية، وعلى العلاقات الدولية فى تلك الفترة، ولذلك لم يتسن للمؤرخين معرفة هذه الشروط، ولم يتم الإشارة إليها، صراحة، فى مختلف المصادر البيزنطية والإسلامية.

الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ص ٦٠٦-٦٠٨؛ الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ٢٠٠٥، ج٨، ص ٣٦٩.

عن المؤامرة التى أدت إلى مقتل الإمبراطور نقفور الثانى فوقاس انظر:
Skylitizes: A Synopsis, p.268, See Also: Schlymberger: Nicephore Phocas, p.462.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية

- Cedrenus (Geogrguis): Historiarum Compendium, in Corpus Scriptorium historiae Byzantinae, Bonnae 1839.

- Genesios. The reigns of the Emperors. Translated to English by: Anthony Kaldellis, Camberra 1998.

- Fulcher of Charteres: A history of the expedition to Jerusalem.

الترجمة العربية التى قام د. قاسم عبده قاسم تحت اسم : فوشيه دى شارتر : تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، القاهرة ٢٠٠١م.

- Constantin VII (Porphyrogenits): De Administrand Imperio, translated to english by : Jenkis, Washington 1967.

وانظر أيضاً: الترجمة العربية التى قام بها د. محمود سعيد عمران تحت اسم : إدارة الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٨٠م.

- Leo the Deacon: The history of Leo the Deacon, translated to English by: Alic-Mary Talbot, Washington, 2005.

- Liudprand of Cremona: The empassy to constantipole, translated to English by: F.A. Wright, London 1930.

- Roymond D'Aguller: Historia Francorum Ceperunt Hereselem

الترجمة العربية التى قام بها د. حسين محمد عطية تحت اسم: ريموند أجلر : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، الإسكندرية ١٩٨٩.

- Skylitzes (John): A synopsis of Byzantine history 811-1058. translated to English by: John Wortley, Cambridge 2010.

- Theophanes confessor: The chronicle, translated to English by:Cyril Mango, Oxford 1997.

ثانياً: المصادر العربية :

- ابن أبى دينار (محمد بن أبى القاسم بن عمر القيروانى) ت. ١١١٠هـ/١٦٩٨م ، المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، تونس عام ١٢٨٦هـ.

- ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم) ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م. الكامل فى التاريخ، نشر دار صادر، بيروت ١٩٦٦م.

- الإدريسي : (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله) من علماء القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د.ت.

- ابن ايبك الدودار (أبو بكر بن عبد الله) ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م. كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الخامس المعروف باسم : الدرة السنية فى أخبار الدولة العباسية، تحقيق : دوروتيا كرافونسكى، بيروت ١٩٩٢، الجزء السادس: المعروف باسم : الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١.

- ابن تغرى بردى: (جمال الدين يوسف أبو المحاسن) ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م. النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة د.ت.

- الثعالبى. (أبو منصور عبد الملك النيسابورى) ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م. يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق : مفيد محمد قميحه، بيروت ١٩٨٣.

- ابن الجوزى : (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م. المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، طبع الهند، ١٣٥٨هـ.

- الحميرى: (محمد بن عبد المنعم) ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م. الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م. العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بولاق ١٢٨٤هـ.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس، بيروت ١٩٧٧.

- الذهبى: (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد) ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧٨م. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت ٢٠٠٥.

- ابن سعيد الأندلسى : (على بن موسى) ت ٦٧٣هـ/١٢٨٥م. المُغرب فى حُلى المغرب، تحقيق زكى محمد حسن وآخرين، القاهرة ١٩٥٣م.

- الشيزرى: (عبد الرحمن عبد الله) ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م. المنهج المسلوك فى سياسة الملوك، تحقيق: على عبد الله الموسى، الأردن ١٩٨٧م.

- ابن طولون: (شمس الدين محمد بن طولون الصالحى) ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م. نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق محمد أحمد دهمان، بيروت ١٩٩١م.

- ابن العبرى (أبو الفرج بن هرون الملطى) ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م. تاريخ مختصر الدول، تصحيح الأب أنطون صالحانى، بيروت ١٩٨٣.

- ابن عذارى: (أبو عبد الله محمد المراكشى) ت أواخر القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى. البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان و ليفى بروفنسال، نشر المكتبة الأندلسية ، د.ت.

– ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد) ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٩٧م.

– أبو الفدا : (عماد الدين إسماعيل) ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م. المختصر في أخبار البشر، نشر المطبعة الحسينية، القاهرة د.ت.

– ابن فضلان (أحمد بن فضلان العباسي) ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م. رسالة ابن فضلان، تحقيق : سامي الدهان، بيروت ١٩٨٧م.

– القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م. آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٧٩م.

– الكرديزي: (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك) ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م. زين الأخبار، ترجمة د. عفاف السيد زيدان، القاهرة ٢٠٠٦م.

– مسكويه: (أبو علي أحمد بن محمد) ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، بيروت ٢٠٠٣م.

– المقريزي: (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق ١٢٧٠م، اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا، ج١، تحقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧.

– ميخائيل السرياني (ت ٥٩٥هم١١٩٩م). تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مارغريغوريس صليبا شمعون، حلب ١٩٩٦م.

– النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء ٢٤ تحقيق: حسين نصار، القاهرة ١٩٨٣م

– ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م. معجم البلدان، نشر دار صادر، بيروت ١٩٥٧م.

– يحيى بن سعيد الأنطاكي: (ت ٤٥٨هـ/ ١١٠٦م). تاريخه، طبع بيروت ١٩٠٩م، ضمن كتاب: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق تاليف سعيد بن بطريق.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

- Baynes, N.H.: The Byzantine Empire, London, 1958.
- Burry, J.B.: A history of the eastern Roman Empire, London, 1962.
- Cambridge Medieval History, vol.4, Cambridge 1975-77.
- Cavalla, The Byzantines, London 1992.

- Charalambos. Basil II et L'aristacratio Byzantine, in Byzantion, tomLXIV, Bruxelle 1944.

- Gibbon, E.: The decline and fall of Roman Empire, Britain 1960.

والترجمة العربية التى قام بها د. محمد سليم سالم، تحت اسم : "اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها" القاهرة ١٩٩٧.

- Healdon and Byrne: A possible solution to the problem of Greek Fire, Byzantinische, Lapzig 1977.

- Jenkins, R.: Byzantium the impereal centuries AD 616-1071, London 1966.

- Kazddan, A.: The Oxford Dictionay of Byzantine, Oxford 1991.

- Krey, U.C.: The first crusade, Minnesote 1958.

- Niccolo Fattori: The policies of Nikephoros II Phokas. In the context of the Byzantine economic revcovery, A Degree of Master, Middle East Technical University 2013.

- Ostrogorsky, G.: History of the Byzantine State, translated to English by : John Hussey, U.S.A., 1957.

- Prayor, J.H.: The age of the A pomon, the Byzantine navy ca 500-1204, London 2006.

- Rambaoud, A. : L' Empire grec au dixieme siecle, Constantine Porphyrogenete, Paris 1870.

- Sare C. Davis-secord: Sicily and the medieval Mediterranean communication networks and inter-regional exchange, Netrodame 2007.

- Schlumberger, G.: Un EMpereur Byzantin au dixieme Sicle, Nicephore Phocas, Paris 1890.

- Vasiliev A.: History of the Byzantine empire, Madison 1952.

رابعا: المراجع العربية والمعربة :

اسمت غنيم: الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، القاهرة ١٩٨٣.

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢.

السيد عبد العزيز سالم وآخرين: تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، بيروت ١٩٦٩.

أمال حامد زيان:

– الإمبراطور الكسيوس الأول كومنين والحملة الصليبية الأولى فى ضوء كتاب الالكسياد، القاهرة ٢٠١٠.

– الدور السياسى للمؤرخ ميخائيل بسللوس بالدولة البيزنطية (١٠٤١–١٠٧٨م) القاهرة ٢٠١٢.

تقى الدين عارف الدورى: صقلية، علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النورمندى، العراق ١٩٨٠م.

حامد زيان غانم:

– الحضارة الإسلامية فى صقلية وأثرها على أوربا، القاهرة ١٩٧٧.

– الفتح الإسلامى لمصر، مقال رقم ١١ ضمن سلسلة الثقافة التاريخية، القاهرة ٢٠٠٦.

– النار الإغريقية بين الروم والمسلمين، مقال منشور بحصاد المؤرخين العرب رقم ٢٠، القاهرة عام ٢٠١٢.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة ١٩٦٤م.

حسن إبراهيم حسن، طه إبراهيم شرف. المعز لدين الله، القاهرة ١٩٦٤.

حسن أحمد محمود، سيدة كاشف: مصر فى عصرى الطولونيين والإخشيديين، القاهرة ١٩٦٠.

– حسين مؤنس:

– تاريخ المغرب وحضارته، جدة ١٩٩٠.

– اطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٨٧م.

جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها، بيروت ١٩٨٧م.

درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية ١٩٧٤م.

دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٣.

ديفيز: أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة عبد الحميد حمدى محمود، الإسكندرية ١٩٥٨.

رنسيمان: تاريخ الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٦١م.

سيد أحمد الناصرى: الروم، القاهرة ١٩٩٣.

صابر دياب: المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجرى، القاهرة ١٩٨٤.

طارق منصور : بيزنطة والعالم الخارجى، الجزء الأول: البيزنطيون والعالم الإسلامى، القاهرة ٢٠٠٣م.

طارق منصور، محاسن الوقاد: النفط استخدامه وتطوره عند المسلمين، القاهرة ٢٠٠٦.

عبد السلام محمد زيدان: الدعوة للحروب الصليبية على بلاد الشام ١٠٩٥-١١٨٩م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب –جامعة أسيوط ، ٢٠٠١م.

عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبى، ليبيا ١٩٨٠م.

علية عبد السميع الجنزورى:

– إمارة الرها الصليبية، القاهرة ١٩٧٥م.

– العلاقات البيزنطية الروسية، القاهرة ١٩٨٩.

فايز نجيب اسكندر:

– أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، الاسكندرية، ١٩٨٥.

– غزو الإمبراطورية البيزنطية لأرمينية، سنة ١٠٤٥م/ ٣٧١هـ، الإسكندرية ١٩٨٨.

عمر كمال توفيق:

– الإمبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الأراضى المقدسة، الإسكندرية ١٩٥٩م.

– تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ١٩٦٧.

فتحى عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، القاهرة ١٩٦٦م.

كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، بيروت ١٩٨٥.

لويس ارشيبالد: القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة ١٩٦٠م.

محمد صالح منصور: أثر العامل الدينى فى توجيه الحركة الصليبية، بنى غازى ١٩٩٦م.

محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٧.

محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، بيروت د.ت.

منى محمد السيد: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب– جامعة عين شمس، عام ١٩٩٦م.

نورمان كانتور: التاريخ الوسيط، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة١٩٩٧م.

هارتمان وآخرين: الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، بيروت ١٩٨١م.

هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، القاهرة ١٩٨٥م.

هسى: العالم البيزنطى، ترجمة: رأفت عبد الحميد، القاهرة ١٩٨٢م.

هلستر: أوربا فى العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحى الشاعر، القاهرة ١٩٨٨م.

وديع فتحى: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامى، الاسكندرية ١٩٩٠م.

وسام عبد العزيز فرج :

– دراسات فى تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الاسكندرية، ١٩٨٢م.

– الإمبراطور باسيل الثانى سفاح البلغار ٩٧٦-١٠٢٥م. مقال منشور فى ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، مجلد ١، القاهرة ١٩٨٢م.

– قوانين الملكية الزراعية فى الأراضى البيزنطية فى القرن العاشر الميلادى، دراسة تحليلية، مقال منشور فى ندوة التاريخ الإسلامى والوسيط، المجلد الثانى، القاهرة ١٩٨٣.

– الألقاب والمناصب الحكومية فى بيزنطة، مقال فى الكتاب السنوى الثالث، الجمعية المصرية للدراسات اليونانية ، القاهرة ١٩٩٨م.

– الأتباع والسادة، دراسة فى ظاهرة التبعية الشخصية فى العصر البيزنطى الأوسط، مقال منشور ضمن كتاب: بيزنطة قراءة فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، القاهرة ٢٠٠٣.

– النار الإغريقية طبيعة تركيبها وأثرها فى نشاط المسلمين البحرى، مقال فى كتاب بيزنطة، قراءة فى التاريخ السياسى، القاهرة ٢٠٠٥م.